

سلسلة الكتاب المختصر في

العدل في الكتاب المقدس

إدارة التفاوض وسط الازمات

كريس مارشال

سلسلة الكتاب المختصر في

العدل في الكتاب المقدس

هل الله عادل؟

بقلم

كريس مارشال

ترجمة

دينا خيري



دار الثقافة

Book Name : ***The Little Book of Biblical Justice***

Author : **Chris Marshall**

Originaly Published by: Good Books

Translated and printed by permission.

الطبعة الأولى

الكتاب : العدل في الكتاب المقدس

المؤلف : كريس مارشال

اسم الناشر : دار الثقافة - ص. ب. ١٦٢ - ١١٨١١ - البانوراما - القاهرة

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/٢٤١٩٠

الترقيم الدولي: 977 - 213 - 828 - x

المطبعة: مطبعة سيوبرس ت: ٢٦٢٢١٤٢٥/٦

الإخراج الفني والجمع: دار الثقافة

تصميم الغلاف: آن مجدي

١٠/ ١٠٦٠ طـ١ / ١-١ / ٢٠٠٨

مارشال، كريس.

العدل في الكتاب المقدس: هل الله عادل/ بقلم كريس مارشال؛

ترجمة دينا خيري. - القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٨

٧٥ ص: ٢٠ سم. - (سلسلة الكتاب المختصر في)

تدمك X ٨٧٣ ٢١٣ ٩٧٧

١- الصفات الإلهية

أ - خيري، دينا (مترجم) العنوان.

٢٧٣,١٤

مقدمة السلسلة

في العقدين الماضيين مر العالم بكثير من الصراعات، منها ما هو على مستوى المؤسسات والمجتمعات المحلية، ومنها ما هو على نطاق الدول والسياسات التي تحكم العلاقات بين هذه الدول، وهذا مما أدى إلى احتدام التوترات على جميع الأصعدة الدولية والمحلية.

وهذا ما جعل قضايا «بناء السلام»، و«إقامة العدل»، و«تحويل الصراع» قضايا تهم العامة كما تهم الخاصة، ويتحدث فيها الأفراد العاديون كما يتحدث فيها المتخصصون في السياسة والعلاقات الدولية.

ولأن هذه الموضوعات أصبحت من أهم موضوعات الساعة، وأصبحت الشغل الشاغل للكثيرين، فلهذا تقدم دار الثقافة هذه السلسلة بالتعاون مع EMU جامعة إيسترن مينونيت لكل دارس ومتخصص ومهتم بمجالات العدل، والسلام، وتحويل الصراع. وتقدمها في شكل مبسط مختصر، وفي نفس الوقت دقيق وعميق حيث أن من قام بكتابة هذه الكتب مجموعة من القادة والمتخصصين في هذه المجالات.

مقدمة الدار

هل الله عادل؟ هذا التساؤل أصبح مُلِحًّا على عقول الكثيرين في هذه الأيام. ففي وسط اختلاف واختلاط مفاهيم وتعريفات البشر لكلمة العدل، يعلوا صوت هذا التساؤل الذي يحتاج إلى جواب، وإن أردنا البحث عن جواب لهذا السؤال يجب علينا أن نعرف كيف يعرف الكتاب المقدس العدل؟

هذا الكتاب المختصر الذي بين يديك يقدم مدخلًا جديدًا لفهم معنى العدل وتعريفاته في الكتاب المقدس، ومناقشة مفهوم عدل الله كما وصفه وشرحه الكتاب المقدس.

يسعد دار الثقافة أن تقدم لقرَّائها هذا الكتاب ضمن سلسلة «الكتاب المختصر» وذلك بالتعاون مع Mennonite Central Committee "MCC" لجنة مينونيت المركزية.

دار الثقافة

المحتويات

- ١ -

ما هي العدالة؟

يهدف هذا الكتاب المختصر إلى التعرف على بعض السمات المميزة لتعاليم الكتاب المقدس المختصة بالعدالة. فالمسيحيون يعتبرون الكتاب المقدس مصدرًا فريدًا للإرشاد في الأمور الإيمانية وأيضًا في أمور الحياة، إذن ماذا قال الكتاب المقدس تحديدًا عن العدالة – سواء العدالة الاجتماعية أو العدالة القانونية – والتي وجب أن تكون ذات أهمية عظمى في فِكر وسلوك المسيحي اليوم.

كان للكتاب المقدس تأثير على تطور الثقافة الغربية بشكل عام. لهذا يمكن أن يساعد استكشاف وجهات النظر الكتابية بشأن العدالة على تقدير بعض من المعتقدات والقيم التي ساهمت بشكل عام في تشكيل الفكر الغربي السياسى والقضائي.

ولا يزال التعامل مع التعاليم الكتابية عن العدالة ليس بالأمر السهل، لوجود الكثير من الأمور المعقدة التى يجب مواجهتها.

• هناك مقدار ضخم من البيانات للتعامل معها. فهناك مئات النصوص من كلا العهدين القديم والجديد التي تتحدث صراحةً عن العدالة، ومئات أكثر تشير ضمنيًا إليها. فالعدالة في الواقع هي إحدى المواضيع المرجعية الأكثر تكرارًا في الكتاب المقدس.

• تتصف البيانات أيضا بكونها متنوعة ومختلفة. حيث يهتم كُتَّاب الكتاب المقدس

بدراسة أحداث وظروف تاريخية مختلفة، وأحيانًا ما يتخذوا لأنفسهم مواضع مختلفة فيما تستلزمه العدالة (خاصة فيما يتعلق بالعدالة القانونية). وسوف نركز في هذا الكتيب على نطاق واسع من الأفكار التي اتفق عليه الكتاب من وجهة نظر لاهوتية. لكننا نتذكر أيضًا أن الصعوبة دائما تكمن بالأخص في وصف التفاصيل المتعلقة بالعدالة.

• دائما ما نحتاج أيضا إلى تذكُّر أن فكرة العدالة من مفهوم كتابي تقع ضمن خلفية ثقافية ودينية أكبر، والتي تعتبر مغايرة للمجتمع الدنيوي المعاصر من اعتبارات عدة. لذا يتطلب منا التعايش مع عالم جديد مختلف عن عالمنا تتضح فيه أبعاد العدالة من منظور كتابي، وهذا ليس بالأمر السهل على الإطلاق.

أضف إلى كل هذه العوامل، الأفكار المركبة التي تقترن بمفهوم العدالة في حد ذاته. ماذا تعني العدالة تحديدًا؟ هل للعدالة وجود مادي، أم هي ببساطة نتاج اتفاق اجتماعي؟ هل هناك معيار ثابت للعدالة، كالإنصاف أو المساواة أو التوازن، أم إنها تعني أشياء متعارضة لأناس مختلفة من خلفيات متباينة؟ من أين تأتي العدالة ؟ وكيف يتم التعرُّف إليها؟ وكيف يتم تعريفها؟ وما العلاقة بينها وبين المحبة والرحمة؟

جميع التساؤلات السابقة معقدة إلى حد كبير بحيث لا يمكننا أن نتعمق في استكشاف أي جانب تفصيلي لمفهوم العدالة هنا. حتي مع تفادي المنطقة الشائكة الخاصة بالفلسفة الأخلاقية والقانونية، ويظل من الواضح من التعاملات اليومية أن العدالـة قيمة كثيرًا ما يساء فهمها.

اختلاط مفهوم العدالة

العدالة هي إحدى تلك المفاهيم التي تجمع بين القوة الانفعالية الهائلة وبين مقدار

هائل من الغموض اللفظي. فكلاهما حقيقة بديهية، وفي الوقت ذاته حقيقة مريبة إلى حد كبير. دعنا نتأمل كل جانب من هذه المفارقة بمفرده:

• من ناحية، لدينا جميعًا اتجاه بديهي قوي بخصوص مفهوم العدالة. من ثم نحتكم دائمًا إليها كفيصلٍ. فنحن بشكل غريزيّ نتعرف عليها حين يتم انتهاكها أو خرقها. حتي الأطفال الصغار لديهم حسّ فطري قوي تجاه العدالة. تأمّل كيف يشتكي كثيرًا الأطفال على شيء لمجرد أنه غير عادل!

حينما تصف حدثًا ما بأنه غير عادل أو ظالم، فأنت بذلك تطلق أحد أقوى الإدانات الأخلاقية. وحين يشتكي أفراد بهذه الشكوى، فإنهم بذلك يفترضون أن الظلم سيظهر واضحًا لأي شخص يهتم بالعدالة.

• لكن ما يظهر جليًّا لشخص معين، ليس بالضرورة أن يكون هكذا لغيره. وربما يؤيد الناس فكرة أن العدالة مبدأ أساسي يؤخذ بعين الاعتبار، لكنهم يعترضون مرارًا وتكرارًا على الطريقة التى يُترجم بها هذا المبدأ عمليًا إلى فعل. فالبعض - على سبيل المثال - يدافع عن الإعدام كعقوبة مستحقة، والبعض الآخر يستنكر هذه العقوبة كنوع من الإساءة لكرامة الإنسان، وأي محاكاة بغيضة للظلم تستدعي الطعن أو التصحيح.

وفي أمر آخر، يعتبر البعض حق المرأة في الإجهاض هو مسألة عادلة بحتة بما أن أجسامهن هي التى يلحق بها الضرر، ومع ذلك فإن آخرين يرون في الإجهاض ظلمًا جائرًا لطفل لم يولد بعد، فلا مبرر لإنهاء حياة إنسان بريء لا ذنب له.

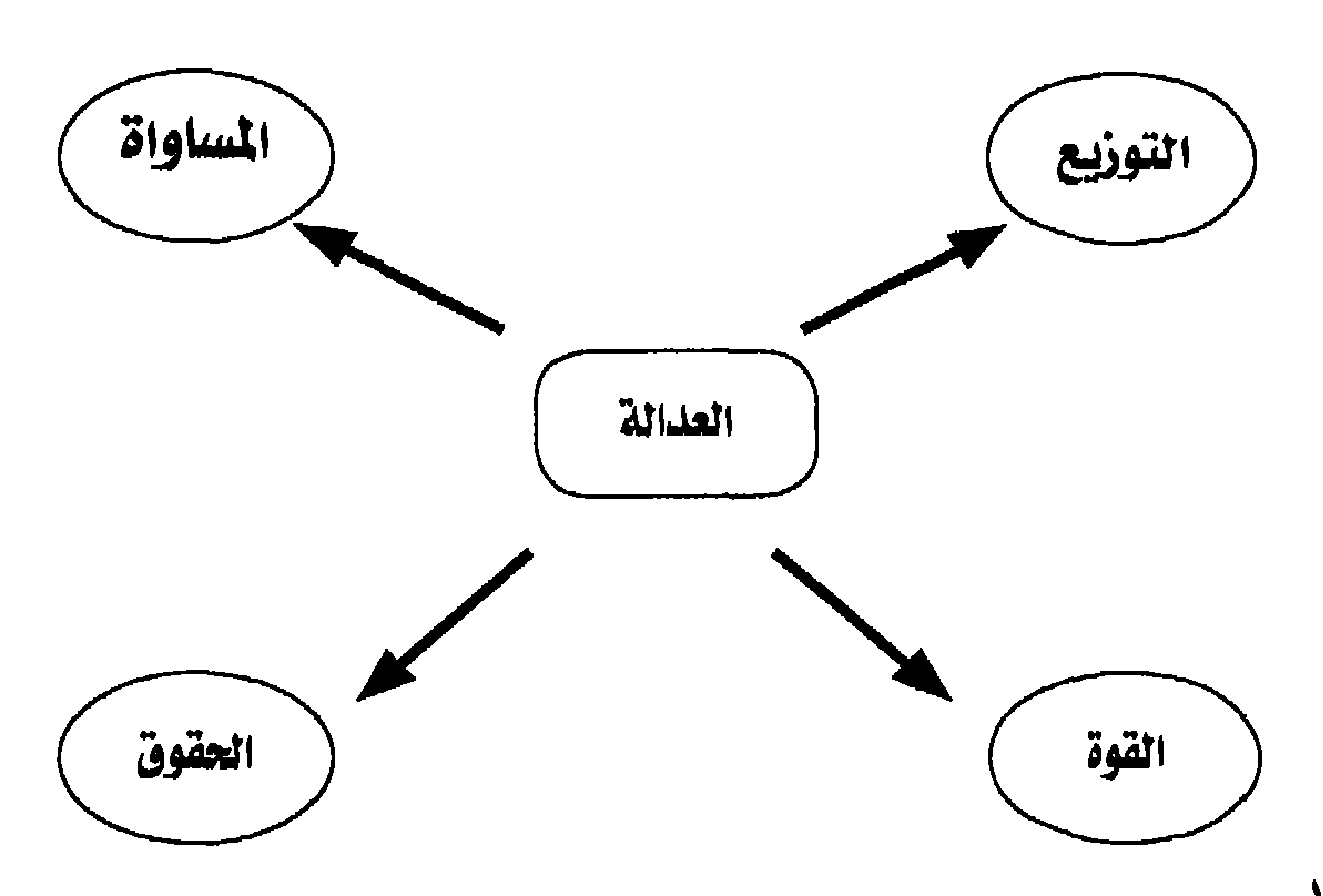
يوجد الكثير من المجادلات المماثلة عن العدالة المشوشة في تاريخ الإنسانية، والعديد من الآراء المتفاوتة حول مفهوم العدالة من جيل إلى جيل. فأرسطو مثلًا اعتبر العبودية ملائمة وأيضا ضرورية للمجتمع العادل. بينما أُعتبرت العبودية أكبر

مثال على الظلم بالنسبة لمؤيدي بطلانها من البريطانيين والأمريكان في العصر الحديث.

إذا نحن بصدد موقف متناقض. فكلنا يدرك أهمية العدالة، ويشعر بالتزام تجاه متطلباتها، ويحس إنجذاب متأصل ناحيتها. لكننا لا نستطيع أن نُـعرِّف معنى العدالة تحديدًا، أو بمعنى أدق لا نعرف أفضل طريقة للتعريف بها، أو سبب تفاوت مستويات العدالة كثيرًا على مدى القرون وعبر الحضارات المختلفة.

التصور الرئيسى لمجالات تمارس فيها العدالة

من الواضح أن العدالة ليست مفهومًا مجردًا أو استثنائيـًّـا. فالعدالة مثل الحب، مصطلح جامع شامل يجمع العديد من المعاني والتطبيقات. وهذا يجعل من الصعب اختزال مفهوم العدالة إلى معنى بسيط ضمني. وتبدو معظم الشروح عن العدالة حتى الآن متضمنة أربعة نقط رئيسية على الأقل:



* **التوزيع**: تستلزم العدالة التوزيع المناسب سواء للمنافع العامة أو الجزاءات بين الأطراف المتنافسة. تُملي علينا أيضًا وجوب اقتسام الموارد سواء كانت بضائع أو مكافآت على نحو عادل (العدالة الاجتماعية)، وألا يتعرض أي شخص لجزاء أو عقوبة إلا لتعدٍّ يجعله مستحق العقاب (العدالة الإجرامية).

* **القوة**: تشتمل العدالة على تطبيق السلطة الشرعية، سواء كانت للفصل في نزاع المطالب، أو لتنفيذ المصلحة العامة، أو لفرض الإلزامات القانونية، أو لإقرار عقوبات مناسبة. يقع الظلم هنا حين يُساء استخدام القوة بهدف سلب الناس وإنكار مستحقاتهم الفعلية.

* **المساواة**: تتطلب العدالة شيئين هامين ألا وهما الاعتدال والتوازن. فالأشياء المتماثلة تُعامل على أساس تماثلها، وكذلك المتناقضات يجب أن تعامل على أنها متناقضات. ويجب أن يُفصل في النزاعات دون اعتبار لأي عنصر ثانوي غير ذي صلة بالنزاع نفسه، من شأنه أن يخلق تحيزًا ضد أحد الأطراف.

* **الحقوق**: على العدالة أن تعمل على احترام حقوق الناس، خاصة في مواقف النزاع. يتواجد الحق حينما يكون للشخص مطلب شرعي أخلاقي أو قانوني من أجل نفعٍ ما، وجب على الآخرين احترامه أو تأييده. تعطي العدالة شرعية أخلاقية لمثل هذه الحقوق.

ثم على مستوى أشمل تستلزم العدالة تطبيق السلطة الشرعية للتأكيد على توزيع المنافع والعقوبات في المجتمع على نحو عادل ومتساوٍ. وبالتالي تتلاقى الحقوق وتُقرر الالتزامات على جميع الأطراف.

كل شيء جيد حتى الآن. ولكن تنشأ النزاعات حين تُطرح تساؤلات كالآتي: من يمارس السلطة؟ أيّ نوع من السلطة يعد مناسبًا؟ ما المنافع أو العقوبات

التي تستحقها أطراف بعينها؟ ماذا يسهم في التوزيع العادل للموارد علي أساس القدرات الفردية وإسهامات الأشخاص المختلفة؟ لمن الأولوية في الحقوق حينما يقع خلاف بين الحقوق الشرعية ومطالب الجماعات المتنوعة؟

ليس سهلًا على الإطلاق إصدار قرارات بشأن هذه النزاعات. إذ أنها تتطلب مراعاة دقيقة لكل العوامل المتعلقة بكل موقف على حدى. وكيفية تمييز وتصنيف هذه العوامل تعتمد تباعًا على نظرة العالم أو ضمنيًا على أسلوب الاعتقاد الذي تُدار بواسطته الجماعات الإنسانية. يظهر هنا طريقة تلاقي العدالة مع المعاني والمبادىء الدينية. إذا تم التعريف بتلك المعتقدات والقيم والأحداث والرموز التي تشكّل المنظور الكلي، فسنجد أن لها طابع ديني بقدر ما تفترض مسبقًا وتعطي إجابات عن تساؤلات جوهرية في الحياة.

يتفق معظم فلاسفة هذا العصر على أنه لا يمكن لمحتوى العدالة أن يتحدد ببساطة من خلال التفكير الموضوعي والمنطق المجرد. والحقيقة أنه لا توجد مثل هذه الموهبة أو القدرة الآن. فالعقل لا يعمل بمعزل عن باقي خبرات الإنسان. إذ يمكن للجنس البشري أن يفكر في العدالة (أو أي شيء آخر يتعلق بها) ضمن سياق من التقاليد الثقافية والتاريخية. أو بمعنى آخر، فإن مرجعية إدراكنا، وكذلك فهمنا للعدالة تاريخيان بلا شك، ولا يمكن عزلهما عن السياق الذي يحيط به. هذه الحاجة لفهم السياق المحيط لا تعني بالضرورة أن العدالة نفسها مجرد ناتج لانعكاس أو تفكير إنساني خالٍ من أي وجود موضوعي مستقل بذاته. لكنها تعني ببساطة أن معرفتنا عن العدالة الفعلية ستبقى دائما محدودة بل ومتحيزة.

ومن وجهة نظر المسيحية، يجب أن يكون للعدالة وجود مادي حقيقي، لأن العدالة مستمدة من الله الذي يتواجد بمعزل عن التصورات والتحيزات البشرية. العدالة هي

واقع، ذلك لأن الله حي ووجوده حقيقي، لكن قدرتنا البشرية على استيعاب العدالة الإلهية مشروطة حتمًا بالطريقة التى نرى بها الحياة والعالم الذين نستقبل منهما التقاليد الخاصة التى ننتمي إليها سواء تاريخية أو دينية. ولهذا الغرض جاء الكتاب المقدس.

إسهام الكتاب المقدس

يحوز المسيحيون على ثقة كبيرة ليس فقط لأن وجود العدالة مستمد من حقيقة أن الله حقيقي، لكن لأننا يمكن معرفة الصفات الأساسية للعدالة من خلال معرفتنا لما يميز الطبيعة. وتعد القصص الكتابية عن خليقة الله ورعايته وفدائه للعالم هي أفضل مصدر لنتعلم منه عن العدالة.

لا يتم الكشف عن معنى العدالة عند كُتَّاب الكتاب المقدس من خلال أفكار فلسفية مجردة متضاربة لكنه أُعلِنَ أساسًا من خلال الوحي الإلهي عبر التاريخ، وتشمل رسائل الكتاب المقدس تسجيلًا هامًا للوحي الإلهي .

نتمكن من فهم المزيد عما تقتضيه العدالة من خلال القصة الكتابية عن إعلان الله عن ذاته من خلال الكلمة والفعل على السواء.

في القصص الكتابية، يظهر حدثان غاية في الأهمية من ناحية إدراك عدالة الله. الحدث الأول هو تحرير بني إسرائيل من عبوديتهم في أرض مصر، وتشكيلهم كجماعة ذات اتجاه مشترك ألا وهو الخضوع لقوانين الله. ويعلن أنبياء وشعراء إسرائيل مرارًا وتكرارًا أن عدالة الله اتضحت في هذا التدخل الهام.

الحدث الثانى العظيم هو مجيء يسوع المسيح الذي يعطي حرية وخلاصًا من العبودية ويبتدىء عهدًا جديدًا. ويُظهر كُتَّاب العهد الجديد حدث مجيء المسيح

حاسمًا أكثر من حدث خروج الشعب من مصر «ظهور برّ الله» (رو ١: ١٦-١٧، ٣: ٢١-٢٦).

ندرك ما هي العدالة من خلال فهمنا للقصة الكتابية عن كشف الله لذاته

يتحدث إلينا كُتَّاب الكتاب المقدس مرارًا وتكرارًا ببلاغة شديدة حول هذين الحدثين العظيمين ومن خلالهما عن العدالة، العدالة الإلهية والبشرية على السواء. وقبل أن نحاول تلخيص ما قالوه، نحتاج أكثر إلى ذكر القليل عن المنظور اللاهوتي الذي تحدثوا من خلاله عن العدالة.

-٢-
العدالة في المنظور الكتابي

يوضح هذا الفصل فهم العدالة النابع من ثراء الفقرات الكتابية في هذا الموضوع. كما يناقش أيضًا بعضًا من المعتقدات الأصيلة والقيم الراسخة الخاصة بالمفهوم الكتابي الذي يشكّل نظرة لاهوتية متميزة عن العدالة. تؤخذ الكثير من تلك المعتقدات والقيم بعين الاعتبار، لكن خمسة عناصر تحديدًا هي الجديرة بالذكر في موضوع بحثنا في هذا الكتاب.

أساسيات العدالة الكتابية

شالوم (سلام)

العهد

التوراة

الأعمال وعاقبتها

الكفارة – الغفران

قبل التعليق على كل فكرة من هذه الأفكار على حدى، فإنه يجدر بنا الإشارة إلى مدي مركزية وأهمية موضوع العدالة في الكتاب المقدس.

موضوع مركزي

تعد العدالة واحدة من أكثر المواضيع تكرارًا في الكتاب المقدس. على سبيل المثال، فإن المصطلحات اللغوية الرئيسية التي تشير إلى الخطية الجنسية يأتي ذكرها حوالي ٩٠ مرة في الكتاب المقدس، في حين تأتي الكلمات العبرية واليونانية الرئيسية

عن العدالة أكثر من ١٠٠٠ مرة وهي كلامات (مشبات، صدقاه، ديسكايوسني، كريسيس Mishpat, Sedegah, diskoisune, Krisis)

غير أن القرّاء المعاصرين كثيرًا ما يتعذر عليهم التعرف على عمق فكرة العدالة في الكتاب المقدس. ويحدث ذلك جزئيًا بسبب أن معظم المصطلحات الرئيسية في العبرية واليونانية تُترجم وفقًا لتشكيلة معادلة لها في الإنجليزية (وكذا في العربية). بعضها تبدو لنا تفتقر للاتصال الواضح بالعدالة. ولعل هذه المصطلحات الإنجليزية – والعربية – العديدة تأتي بالضرورة نتيجة لأن المفهوم الكتابي عن العدالة أوسع وأكثر شمولًا مقارنة بمفهومها الغربي. إذ تتطرق العدالة الكتابية إلى جميع المجالات الحياتية ــ الشخصية منها والاجتماعية، العامة والخاصة، السياسية والدينية، الإنسانية واللاإنسانية ــ لذلك يتطلب الأمر تنوُّع مفردات الترجمة لتشمل على تطبيقات متنوعة. لكن الأثر النهائي لهذا التنوع هو إحداث غموض في النص الإنجليزي والطريقة التي يشتمل ويرتبط بها بمفهوم العدالة الظاهر في النص الأصلي.

تأمل مصطلح «البر» على سبيل المثال، الذى يأتي ذكره في الكتاب المقدس بشكل متكرر. اللغة الكتابية المعنية بهذا المصطلح تشير لنطاق واسع من المعاني منها «عمل أو كون أو إعلان أو إحضار الأمر الصحيح». وحين تُستخدم في سياق يتناول نزاعًا، أو توزيعًا اجتماعيًا، فإنها غالبًا ما تشير إلى سلطة العدالة أو تطبيق العدالة. لكن في الاستخدام الحديث في اللغة الإنجليزية، تعطى مصطلحات «البر» و«العدالة» دلالات مختلفة. فالبر يحمل معنى النقاوة الذاتية الأخلاقية والتقوى، بينما يرتبط معنى العدالة بالإنصاف القضائي العام والمساواة في

تتكرر مفردات العدالة في الكتاب المقدس أكثر من ١٠٠٠ مرة

الحقوق. أحدهما ينتمي إلى مملكة الخاص والأخلاقي والمتدين والآخر ينتمي إلى العام والسياسي والقانوني. لكن في الاستعمال الكتابي يقترن البر في معناه بالعدالة. وأحيانًا يأتي «البر» و«العدالة» ككلمة مزدوجة ذات معني مماثل: صدقاه، ميشبات sedeqah, mishpat

"وَلْيَجْرِ الْحَقُّ كَالْمِيَاهِ، وَالْبِرُّ كَنَهْرٍ دَائِمٍ".

(عا ٥: ٢٤).

"هُوَذَا بِالْعَدْلِ يَمْلِكُ مَلِكٌ، وَرُؤَسَاءُ بِالْحَقِّ يَتَرَأَّسُونَ".

(إش ٣٢ : ١).

"اَللّهُمَّ، أَعْطِ أَحْكَامَكَ لِلْمَلِكِ، وَبِرَّكَ لابْنِ الْمَلِكِ. يَدِينُ شَعْبَكَ بِالْعَدْلِ، وَمَسَاكِينَكَ بِالْحَقِّ".

(مز ٧٢ : ١-٢).

ومن ثمّ فإن معنى البر في الكتاب المقدس يجسد فكرة العدالة، والعدالة في الكتاب المقدس تعكس فكرة تقويم الخطأ، وإرجاع الأشياء إلى وضع «التصحيح» أو التبرير.

يُشاع في بعض الأحيان عن العهد الجديد أنه قليلًا ما يتحدث عن العدالة. لكنها فكرة خاطئة تمامًا. فبمجرد إدراكنا أن مصطلح البر يشترك في نفس الدلالات المعبرة عن العدالة، يتضح لنا أن العهد الجديد لا يختلف عن العهد القديم من ناحية تركيزه على العدالة والتزامها بها.

مجموعة من الأفكار المرتبطة بمفهوم العدالة

- **شالوم (سلام)**

كلمة (شالوم) هي كلمة عبرية تعنى «سلام». لكن مفهوم السلام في الكتاب

> في السلام
> (شالوم)
> يتلازم السلام والعدالة معاً

المقدس أكثر من مجرد غياب للنزاع المسلح والعنف. إذ يعني شالوم الحضور الإيجابي للانسجام مع الكمال بين العافية والنجاح، والتكامل والتوازن. إنها حالة من الرسوخ والازدهار في كل مناحي الحياة وبكل المعايير في علاقتنا مع الله ومع الآخر، ومع الطبيعة ومع أنفسنا.

يحدث «الشالوم» حينما يصبح كل شيء كما يجب أن يكون أي في صورته المثالية. وبناءً على هذا المعنى فإن شالوم تبين قصد الله للبشرية، وهو أن يعيش الناس بـ «الاستقامة» في كل مناحي حياتهم.

وهكذا تربط شالوم في إطار واحد مفهومي العدالة والسلام معًا. وجدير بالذكر أن شالوم تتطلب تحقيق كلًا من العدالة والسلام سويًا. فهما عنصران متلازمان لحقيقة واحدة.

ولذلك فمن ناحية أولى، لا يمكن أن يكون هناك سلام بدون عدالة.

"فَيَسْكُنُ فِي الْبَرِّيَّةِ الْحَقُّ، وَالْعَدْلُ فِي الْبُسْتَانِ يُقِيمُ. وَيَكُونُ صُنْعُ الْعَدْلِ سَلاَمًا، وَعَمَلُ الْعَدْلِ سُكُونًا وَطُمَأْنِينَةً إِلَى الأَبَدِ. وَيَسْكُنُ شَعْبِي فِي مَسْكَنِ السَّلاَمِ، وَفِي مَسَاكِنَ مُطْمَئِنَّةٍ وَفِي مَحَلاَّتٍ أَمِينَةٍ." (إش ٣٢: ١٦– ١٨).

"عِوَضًا عَنِ النُّحَاسِ آتِي بِالذَّهَبِ، وَعِوَضًا عَنِ الْحَدِيدِ آتِي بِالْفِضَّةِ، وَعِوَضًا عَنِ الْخَشَبِ بِالنُّحَاسِ، وَعِوَضًا عَنِ الْحِجَارَةِ بِالْحَدِيدِ، وَأَجْعَلُ وُكَلاَءَكِ سَلاَمًا وَوُلاَتَكِ بِرًّا".

"لاَ يُسْمَعُ بَعْدُ ظُلْمٌ فِي أَرْضِكِ، وَلاَ خَرَابٌ أَوْ سَحْقٌ فِي تُخُومِكِ، بَلْ تُسَمِّينَ أَسْوَارَكِ: خَلاَصًا وَأَبْوَابَكِ: تَسْبِيحًا. لاَ تَكُونُ لَكِ بَعْدُ الشَّمْسُ نُورًا فِي النَّهَارِ، وَلاَ الْقَمَرُ يُنِيرُ لَكِ مُضِيئًا، بَلِ الرَّبُّ يَكُونُ لَكِ نُورًا أَبَدِيًّا وَإِلهُكِ زِينَتَكِ. (إش ٦٠، ١٧–١٩).

ومن الجانب الآخر، لا يمكن إقامة العدالة بشكل مطلق بمعزل عن السلام. فلا عدالة في الحرب.

يغضب عاموس قائلاً: "فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ أَنْ يَصْنَعُوا الاسْتِقَامَةَ،" أُولئِكَ الَّذِينَ يَخْزِنُونَ الظُّلْمَ وَالاغْتِصَابَ فِي قُصُورِهِمْ." (٣: ١٠، انظر أيضًا عا ١: ٣- ٢ : ٤، وإش ١٠: ٥- ١٩). وتتجلى هذه العدالة التي تتطلب صنع السلام بوضوح تام في إحدى فقرات إشعياء ٤٢، والتي – كما نراها – بدت مُركّزة حول مهمة الرب يسوع على الأرض.

"هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. ٢لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. ٣قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. ٤لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ ...."

(إش ٤٢: ١-٧، قارن مع إش ٦١: ١- ١١).

- **العهـــد**

هو إشارة الكتاب المقدس إلى العلاقات القائمة على عهود، أو بدقة أكثر للعهود الرسمية التي تعمل على إحياء هذه العلاقات وتعيين حقوق ومسئوليات كلا الطرفين. ففي صميم القصص الكتابية نجد العهد القائم بين الله وبني إسرائيل. وعلى الرغم من أفعال شعب إسرائيل التي لا تستحق الرحمة، اختار الله أن يدخل في علاقة فريدة مع شعبه، علاقة تفضي في النهاية إلى مصلحة كل الشعوب أيضًا.

شروط هذه العلاقة القائمة على العهد نجدها مشروحة وواضحة في التوراة، وهي الشريعة المُعطاة لموسى على جبل سيناء والتي وضحت وتطورت تدريجيـًا عبر

الأجيال التالية. تبين هذه الشريعة ما تحتاجه إسرائيل لتعيش في سلام، وتختبر مقاصد الله الخالق التي طالما أرادها للبشرية. لا تستمد الشريعة سلطتها من قوة الدولة القهرية، بل من إرادة وتدبير الله لبركة الإنسان وتسديد احتياجه.

ولو ظل شعب إسرائيل مخلصًا في علاقته بالله بالعيش وفقًا لقوانينه، لكانت النتيجة هي سيادة العدالة والسلام. فإنه من بين كل التشريعات، تتطلب هذه الشريعة أشخاصًا ملتزمين بالسلوك تجاه البعض بالعدالة والرحمة.

ولذلك تعتبر العدالة الكتابية هي عدالة قائمة على العهد. وهو الأساس العملي الذي قامت عليه العلاقة الخاصة بين الله وشعب إسرائيل. تتدفق العدالة منطلقة من حياة الطاعة لشرائع الله، تلك الشرائع التي تستمد خصائصها من رؤية أكثر عمقًا من السلام، من قصد الله لحياة الإنسان. وبالتالي فإن الشريعة، والعدل، والعهد هم مفاهيم متداخلة ومتوافقة في إطار الإعلان الإلهي في الكتاب المقدس.

• **التـوراة**

كلمة الشريعة أو القانون تعني ضمنيًـا أنها تقوم على التشريع. ويتطابق نفس هذا التعريف مع معنى الشريعة من المنظور الكتابي، فهي تتضمن مئات الوصايا والأحكام القانونية. لكن الشريعة الكتابية ليست تشريعًا أو قانونًا بالمفهوم الحديث للكلمة. حيث أن نصوص القانون الحديث تتسم بالموضوعية والدقة والشمولية وأنها متماسكة ذاتيًا. وتستخدم اللغة بشكل حرفي لكي تزيل أو تقلل من حدة الغموض. كذا فإن الجمهور الأساسي الذي تتوجه إليه للتشريعات الحديثة هو الجهات القانونية المهنية التي تتولى مسئولية تفسير هذه التشريعات والدفع نحو تنفيذ نصوصها.

بالمقارنة، نجد أن الشريعة أو القانون الكتابي له أكثر من وظيفة تعليمية وتربوية معلنة. فهو لا يخاطب فقط المختصين بالقانون لكن أيضًا كل المجتمع، ستجد فيه

الشرح التفصيلي عما تستلزمه الحياة مع الله في إطار العهد، في مصطلحات بسيطة (مذكورًا تحديدًا في سفر التثنية ٢٩: ١٠– ١٢). التوراة في الواقع تعني «الوصايا»، إنها تعليمات الله لنا للبر. فيقول كاتب المزمور في بهجة التسبيح:

"نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الْجَاهِلَ حَكِيمًا. [٨]وَصَايَا الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ تُفَرِّحُ الْقَلْبَ. أَمْرُ الرَّبِّ طَاهِرٌ يُنِيرُ الْعَيْنَيْنِ. [٩]خَوْفُ الرَّبِّ نَقِيٌّ ثَابِتٌ إِلَى الأَبَدِ. أَحْكَامُ الرَّبِّ حَقٌّ عَادِلَةٌ كُلُّهَا. [١٠]أَشْهَى مِنَ الذَّهَبِ وَالإِبْرِيزِ الْكَثِيرِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقَطْرِ الشِّهَادِ." (مز١٩: ٧– ١٠).

المبادىء الأساسية التي يرتكز عليها قانون العهد مذكورة فيما يسمى بالوصايا العشر التي تضع حدودًا خارجية للسلوك المتزن بأن يكون ملزمًا تحت الوصية: لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تقتل، لا تسرق، لا تزن، لا تشتـه، ومـا إلـى ذلك (خر ٢٠: ١– ١٧، تث ٥: ٦– ٢١). ومن ثم فإن هذه المبادىء الأساسية تُترجم إلى تشريع اجتماعي ملموس وواقعي، في تكوين القوانين والتشريعات العامة التي تمنع بشكل عام أو تحرم أفعالًا معينة، وجزئيًا في تكوين قوانين لحالات خاصة تخاطب مواقف فردية معينة.

لا يوجد حالة من هذه الحالات نتعامل فيها مع قوانين واشتراطات صارمة يجب تطبيقها على أصغر التفاصيل في كل موقف. حيث أن اتباع الخطوات المختلفة لتتميم شريعة موسي تُفهم على أنها نموذج يمثل الوعي القانوني ويزداد تدريجيًا بمرور الزمن، ولكن في ظروف مختلفة يمكن خلالها توجيه القيادة ناحية مواقف أو اتجاهات أخرى. أثناء التوجه القيادي كان للحكام مساحة معقولة تتيح حرية التصرف. ففي الوقت الذي كانوا منقادين فيه بواسطة أحكام التوراة المسجلة قبلًا، كانوا أيضًا مقيدين بأحكام سالفة، أو ظروف، أو حتى سُنَّة

شفهية. كانت الوصية: «العدل العدل تتبع» ليست لمجرد تنفيذ وصايا إيجابية (تث ١٦: ١٨-٢٠، ١٧:٨-١٣).

ربما يساعد كل هذا في شرح ما يعتبرها التفكير المعاصر واحدة من أهم الأمور العسرة في الناموس في العهد القديم: لجوئه كثيرًا إلى عقوبة الإعدام. حيث تطبق عقوبة الموت على أكثر من عشرين جريمة. ورغم أن هذا أقل بكثير من مئات الجرائم التي سنت قوانين أوروبا عقوبتها بالموت على مدار القرن الثامن عشر، لكنها ليست بقليلة. فهناك التعديات المبتذلة كالإساءة إلى أحد الوالدين أو ارتكاب فعلة الزنى، أو ممارسة الجنس مع خطيبة أحدهم، أو حتى انتهاك قدسية السبت، كل هذه عقوبتها الموت. حتى ربما نتصور نتيجة لهذا أن الشوارع كانت غارقة بالدماء أثناء تطبيق الشريعة عند قدماء اليهود.

لكن في حالات معينة وجدت أسباب معقولة تشكك في التنفيذ الحرفي لبعض من هذه العقوبات. فهناك أكثر من حادثة في العهد القديم لم تُنفّذ فيها عقوبة الإعدام علي المذنبين ممن ارتكبوا جرائم عقوبتها الإعدام لاعتقادهم أن العقوبات كانت تطبق بصرامة جائرة. إن الهدف الأساسي من إلحاق العقوبة على سلوكيات معينة هو وضع حدود جادة وصارمة على هذه السلوكيات. فقد كان التهديد القضائي بحكم الموت له أكبر الأثر في جعل الناس يحتاطون من عواقب ذنوبهم المدمرة، وبالأخص تلك التي تخرق قوانين العهد الرسمي أو ما يطلق عليه الوصايا العشر. (في التشريع الإلهي، يعتبر خرق سبعة من الوصايا العشر، مستوجبًا عقوبة الموت). لهذا فإن حقيقة إعلان التشريع الكتابي عن وجود أفعال معينة تستوجب عقوبة الموت، ليس معناه أننا نقول إنه بشكل ثابت ونموذجي خُصصت عقوبة الموت من أجل انتهاكات واقعة.

الأعمال وعاقبتها

هذا يقتادنا إلى السؤال الصعب عن موضع العقاب الإلهي في المفهوم الكتابي، وكما سنرى لاحقًا أنه ذُكر الكثير في الكتاب المقدس عن عقاب الله للآثمة، سواء الآثمة على المستوى الشخصي أو على مستوى الأمة ككل من أجل عصيانها وعدم إيمانها. وأحيانًا يستخدم هذا التهديد بالعقاب ليثني الناس عن الاستمرار في فعل الخطية والعصيان. وفي أحوال أخرى، اعتبرت الكوارث الطبيعية والحربية التي تصيب الشعب، بمثابة عقاب الله لشعب إسرائيل بسبب عدم حفظهم للعهد. وفي أحيان أخرى، تُفسر الكوارث الإنسانية على أنها إعلان غضب الله (انظر رومية ١: ١٨ - ٣٢). ولكن من نحن لنفهم مقاصد الله من هذه المحن التي تصيب الأفراد والكوارث التي تحل بالتاريخ؟ هذه التأكيدات الكتابية بشأن تدخُّل الله الفعال والتأديبي في حياة البشر لابد من تقييمها في ضوء القناعة الأساسية القائلة بأن الأفعال تحمل النتائج في طياتها أو ما يسمي بنظرية «الزرع والحصاد». هناك دوافع داخل الأفعال البشرية تقود الإنسان إما إلى البركة أو إلى اللعنة، معتمدة على ما إذا كانت هذه الأفعال حسنة أو سيئة (حسب النص الأصلي في سفر التثنية ٣٠). هناك علاقة وثيقة بين الخطية والكارثة من ناحية، وبين البر والبركة من ناحية أخرى. «الشر يتبع الخاطئين، والصديقون يجازون خيرًا» (أم ١٣: ٢١). مما يساعد على تفسير سبب استخدام سلسلة كاملة من المصطلحات العبرية لوصف كلًا من الفعل وعاقبته. على سبيل المثال تعني لفظة hatta't كلًا من «الخطية» و«الكارثة» وربما تكون أقرب كلمة عبرية إلى مصطلح العقاب.

إن هذه المعادلة الخاصة بعاقبة الأعمال ليست مجرد آلية موضوعية قائمة بشكل تلقائي على منظومة من الأسباب والنتائج التي تعمل بعيدًا عن تدخل الله.

لكن على النقيض، فإن الله هو الوحيد الذي يؤكد على تطبيقها بالدرجة الأولى. الله مهتم بشكل أساسي بالعلاقة التفاعلية بين الأفعال الإنسانية وعواقبها. لكن في الوقت الذي يؤكد فيه كتاب الكتاب المقدس مرارًا وتكرارًا على تطبيق الله سلطته إما بالعقاب (أو بالبركة)، يتبقى اتجاه هام ألا وهو حصاد الناس لما يزرعونه أو يزرعه آخرون بأفعالهم. غالبًا ما يكون العقاب في حقيقة الأمر منفذ على الفرد بشكل شخصي، مُنزّل بالشخص ذاتيًا. الله مسئول عن الفعل الانساني وعاقبته بقدر ما يؤكد فعليًا على أن الجنس البشري ورثة لأفعالهم. وكما يقول الرسول بولس إن الله «أسلم الناس» إلى اختياراتهم الخاصة (رو ١: ٢٤، ٢٦، ٢٨).

بناءً على استيعابنا لهذه الفكرة بهذه الكيفية، يظهر أنه حتى العقوبات القضائية المفروضة بواسطة المحاكم الإنسانية مستمدة من منظور كتابي كنوع من التعبير عن غضب الله وانتقامه (انظر على سبيل المثال، رومية ١٣ : ٣– ٦). ليس بالضرورة يقصد به أن الله يعاقب أو يقر عقوبات على الأفراد. بل بالحريّ ترتبط العقوبات بغضب الله على أساس أن القضاء العادل بعقوبة الموت جزاء الإثم يساعد على تجسيد أو ابراز حقيقة أخلاقية عميقة أساسها الأسلوب الذي استخدمه الله لتكوين الواقع: أفعال الإنسان وتصرفاته ذات أهمية بالغة، ولا يمكننا الهروب من مسئولية عواقب أفعالنا، لأن ذلك أمر حتمي يضمن حرية الإنسان.

• **الكفارة – الغفران**

في النهاية توجد كلمة موجزة يجب ذكرها عن آلية التعامل مع الخطية في الكتاب المقدس. يفترض أحيانًا القراء المعاصرون أنه بسبب طقوس الكفارة في العهد القديم التي استلزمت التضحية بالحيوانات أو ما يسمى كبش الفداء، فإن نظام الكفارة ككل اعتمد على التضحية البديلة (انظر سفر اللاويين ٤–٥، ٨–٩،

١٦، قارن مع سفر الخروج ٢٩، العدد ١٩، التثنية ٢١، العبرانيين ٩-١٠). ومن هذه الرؤية، تصبح التضحية هي الوسيلة التي استطاع بها الله إزاحة العقاب عن البشر وإنزاله بضحية بريئة لا ذنب لها، وبهذا تمّ منح الغفران للخطاة بدون تلبية مطالب العدالة. فسّرت هذه الخطة في العهد الجديد طريقة الموت الكفاري للمسيح التي بها تم الخلاص.

لكن بالنظر إلى مفهوم التكفير في الكتاب المقدس نجده تفسيرًا بعيد الاحتمال. فمن المنظور الكتابي، لا تعتبر الخطية مجرد فشل في تحقيق مطالب أخلاقية، لكنها أيضًا مصدر لتدنيس أو إفساد يهدد بالانتشار كمرض معدٍ ما لم يتم التخلص منه. في هذا المجال، فإن البدائل المقدمة عن فعل الخطية تعد واحدة من أنواع التطهير البديل، وليست عقابًا بديلًا. فإن الذبيحة الحيوانية بمثابة تقدمة من شخص. بمجرد وضع يده على الذبيحة، تتنقل الخطية رمزيـًـا من حاملها إليها، وبذلك يكون قد طُهِّر إثمه وينال الصفح.

لكن لم يكن الغفران ممنوحًا لأن العقاب البديل قد حصل فعليـًـا، بل لأن الناس أظهروا ندمًا وتكريسًا من خلال تطبيقهم لتلك الطقوس. إن العلاقة المبنية على العهود قد تعرضت للكسر بسبب خطايا الناس، ثم أُعيدت مجددًا، وهكذا تعاد الأمور إلى مسارها الصحيح ويتم إبعاد غضب الله وتحقيق العدالة الإلهية في هذا التجديد للعهد وليس في أي نوع من العقاب البديل. وبالطبع، فإنه في العهد الجديد نجد أن موت يسوع الكفاري والمجاني عن خطايانا هو الذي قد أتم قصد الله في "التبرير والتطهير" لطبيعة البشر الآثمة والنجسة.

ملخص

يأتي المنظور الكتابي لمفهوم العدالة في إطار المنظور اللاهوتي والثقافي الشامل

للكتاب المقدس، وهذا المنظور قد يكون في حالات كثيرة مختلف عن رؤيتنا المعاصرة. وبحسب هذا المنظور الكتابي الشامل فإن إسرائيل كانت مشتركة في علاقة فريدة مع الله أساسها العهد. هذه العلاقة تعتمد أساسًا على برِّ الله وصلاحه وأمانته المطلقة لعهوده. حافظ شعب إسرائيل على العهود عن طريق العيش في طاعة لناموس الله والتوراة . كانت الغاية من هذه الشرائع الكتابية هي تمكين إسرائيل من العيش في سلام، هذه الحالة من الاستقرار والكمال التي قصدها الله دومًا لخليقته من الجنس البشري. ورغم أن مثل هذا السلام اهتز كيانه نتيجة أفعال إسرائيل المشينة والتي جلبت عليهم عواقب وخيمة. إلا أن بر الله ساعد في تحويل هذه العواقب إلى كفارة، لهذا يمكن أن تُصنع كفارة ويُختبر الغفران والصفح.

وهكذا يستمد مفهوم العدالة في الكتاب المقدس أطره المميزة من هذه التركيبة من الاعتقادات المتداخلة الناتجة عن العلاقات المتبادلة. والآن حان الوقت لنلقي نظرة فاحصة على هذه الأطر المتداخلة للعدالة.

-٣-

أُطر العدالة الكتابية

نحن الآن بصدد تعريف بعض من الحقائق الخاصة والرؤى التي تشكّل التعاليم الكتابية عن العدالة بأسلوب متميز. والموضع الذي يجب أن نبدأ منه هو حيث تبدأ العدالة نفسها، ألا وهو طبيعة الله.

صفة لله

يعتبر كاتبو الكتاب المقدس العدالة، قبل أي شيء أخر، هي احدي صفات الله الشخصية أو فضائله. هذا يفسر مدى اهتمامهم الهائل بهذا الموضوع. فالعدالة هي جزء من كيان الله الإله الحي. العدالة ليست شيئًا يرغب الله في تحقيقه، لكنها تمثل جوهر كيان الله والمبدأ العميق الذي يحكم أفعاله وتعاملاته (إش ٢٤: ١٦، ٣٠: ١٨، ٤٥: ٢١، تك ١٨: ٢٥، ٢ أخ ١٢: ٦، نح ٩: ٨، مز ٧: ٩، ٨٩: ١٤، ٩٧: ٢، ١٠٣: ١٧، إر ٩: ٢٤، دا ٩: ١٤، صف ٣: ٥، زك ٨: ٨، رو ٣: ٢٦، ٩: ١٤، ١بط ٢: ٢٣، رؤ ١٥: ٣).

"إني باسم الرب أنادي. أعطوا عظمة لإلهنا. هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل. اله أمانة لا جور فيه. صديق وعادل هو." (تث ٣٢ : ٣-٤).

"الرب بار في كل طرقه ورحيم في كل أعماله." (مز ١٤٥: ١٧).

تدعم العدالة – كواحدة من صفات الله الخالق – الخطة الأساسية للخلق. كما ذكر كاتب المزمور، «قاعدة» كرسي الله، وأساس الكون (مز ٨٩: ١٤، ٩٧: ٢، قارن

مع مز ١٠٢: ٢٥، أيو ٣٨: ٤، إش ٤٨: ١٣). تشير العدالة إلى "التنظيم الصحيح" للكون، وهذه هي الطريقة التى أراد الله من خلالها تجلي الحقيقة. خلق الله العالم بطريقة تعبر عن عدالته وبره الراسخين وتعتمد أساسًا عليها.

وعلى أساس هذا المبدأ الذي ينص على أن الله هو مصدر ومقياس العدالة الوحيد، والذي يدفع كاتبي الكتاب المقدس إلى انتهار الظلم أينما وُجد، وإعلان قضاء الله ضد أفعال الأمم الشريرة والآثمة. وبناء عليه تستجيب الأمم لأحكام الله، لأنه «يَدِينُ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ وَالشُّعُوبَ بِالاسْتِقَامَةِ». (حب ١: ١٢، قارن مع ملا ٢: ١٧).

العدالة هي جوهر كيان الله وأعماله

يصور مزمور ٨٢ غضب العدالة الإلهية بشدة على جور المسكونة. فيتخيل كاتب المزمور قاعة محاكمة عالمية حيث يجلس يهوه إله إسرائيل، مدينًا آلهة وحكام الأمم بانتهاك العدالة في مناطقهم. وينتهي المزمور بالتأكيد على أن جميع الناس سوف يعطون حسابًا أمام عدالة الله.

اتخذ الله موضعه في المجلس الإلهي في وسط مجموعة من الحكام حيث ابتدأ يصدر أحكامه:

"حَتَّى مَتَى تَقْضُونَ جَوْرًا وَتَرْفَعُونَ وُجُوهَ الأَشْرَارِ؟ سِلاَهْ. اِقْضُوا لِلذَّلِيلِ وَلِلْيَتِيمِ. أَنْصِفُوا الْمِسْكِينَ وَالْبَائِسَ. نَجُّوا الْمِسْكِينَ وَالْفَقِيرَ. مِنْ يَدِ الأَشْرَارِ أَنْقِذُوا."

"قُمْ يَا اَللهُ. دِنِ الأَرْضَ، لأَنَّكَ أَنْتَ تَمْتَلِكُ كُلَّ الأُمَمِ." (مز ٨٢ : ١-٤، ٨).

إنه بمثابة اعتقاد وايمان راسخ بعدالة الله الثابتة وهذا ما يثير تلك المشكلة المزعجة التي اصطُلِحَ على تسميتها باسم "theodicy" (تعني حرفيًا « تبرير الله»).

إذ كيف يمكن لصلاح وعدالة الله أن تبرر الشر العلني؟ وكيف لله الخالق كلي القدرة، الإله المعبود «مُحِبُّ الْعَدْلِ» أن يتغاضى عن أفعال الظلم الوحشية في العالم؟ (إش ٦١: ٨، مز ٣٣: ٥، ٣٧: ٢٨، ٩٩: ٤). يطرح النبي حبقوق المشكلة بفصاحة قائلًا:

"عَيْنَاكَ أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ، وَلاَ تَسْتَطِيعُ النَّظَرَ إِلَى الْجَوْرِ، فَلِمَ تَنْظُرُ إِلَى النَّاهِبِينَ، وَتَصْمُتُ حِينَ يَبْلَعُ الشِّرِّيرُ مَنْ هُوَ أَبَرُّ مِنْهُ؟"

(حب ١: ١٣، قارن مع مز ٩٨: ٩ ؛٩: ٨، ٩٦: ١٠، ١٣، ٩٧: ١-٢، ٦، ٩٩: ١-٤، رو ١: ١٨، ٣: ٦).

لاحظ هنا أن النبي حبقوق لم يجادل في حقيقة عدالة الله وكمال طرقه، رغم أن الظاهر لنا هو انتصار الشر كثيرًا في أمورنا اليومية. أيًّا كانت المفارقات التي نواجهها في خبراتنا اليومية، إلا أن كتاب الكتاب المقدس لم يشكوا قطعًا في أن عدالة الله يمكن أن تتساهل أو تهوي بشكل ما، أو تُحدّ من سلطته. لكن بالنسبة لهم، لم يكن هناك أي شك في كمال عدالة الرب، حيث أقرت إسرائيل أن النصر كان لعدالة الله على مدى التاريخ. (تث ٣٢: ٤، ٢صم ٢٢: ٣١، مز ١٨: ٣٠).

فقد شاهد بنو إسرائيل الله يحررهم من ظلم العبودية، ليقودهم بأمان في البرية، ويعلن أن شعبه حر ومستقل. لذا فإن الاختبار الملموس لبني إسرائيل أثبت للأبد أن «الرب إله حق» (إش ٣٠: ١٨).

كذلك فقد تأكدت أيضًا عدالة الرب (يهوه) في الناموس الذي هو عطية الله لشعبه بني إسرائيل. في هذا الناموس يطلب الله من شعبه - بناءً على العهد القائم بينهم أن يحسنوا معاملة الآخر كما تعامل هو معهم بالرحمة والعدل والمساواة.

"لاَ تُعَوِّجْ حُكْمَ الْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ، وَلاَ تَسْتَرْهِنْ ثَوْبَ الأَرْمَلَةِ. وَاذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا فِي مِصْرَ فَفَدَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ هُنَاكَ. لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ أَنْ تَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ". (تث ٢٤: ١٧-١٨، قارن مع خر ٢٠: ٢، لا ١٩: ٣٦، ٢٥: ٣٨، ٢٦: ١٣، عد ١٥: ٤١، تث ٥: ٦ وما بعدها).

هكذا فإن العدالة عند كاتبي الكتاب المقدس متأصلة في طبيعة الله وتظهر في كل تعاملات وتفاعلات الله مع العالم. عندما صرح قائد حركة المطالبة بالحقوق المدنية الأمريكي مارتن لوثر كينج قائلًا: «يرتكز الكون على محور أساسي هو العدالة»، كان يعلن افتراضًا أساسيًّا نابعًا من المفهوم الكتابي. العدالة هي الأساس الموضوعي للحقيقة. هذا المفهوم عن العدالة لم يُعرف أولًا من خلال أفكار فلسفية مجردة، بل من خلال اختبار معاملات الله من أجل تحرير المظلوم، والانتباه إلى كلمة الله في الناموس والأنبياء التي تحث على مساندة الضعفاء ورعاية حقوقهم.

هذا يعني أن مرجعيتنا عن العدالة تنبع أساسًا من معرفتنا بالله ذاته، وأنه لا يوجد معرفة حقيقية بالله بدون تقدير لتكريس الله الذاتي للعدالة.

> **مرجعيتنا عن العدالة تنبع أساسا من معرفتنا بالله ذاته**

التشبُّه بالله

في القصص الكتابية عن الخلق، نلاحظ أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي خُلق على صورة الله وكشبهه (تك ١: ٢٦- ٢٧، قارن مع ٢: ٧، ٥: ١- ٢، ٩: ٦). لقد خلق الله البشر ليكونوا ممثلين عنه - ويكونوا صورته في العالم. إنهم هم الوسيلة التي بواسطتها يظهر حكم الله المُحِب في الأرض. وحيث أن الله إله عدل، فإنه يجب على هؤلاء الذين يحملون صورته أن يكونوا وكلاء للعدالة. إذن وجب عليهم أن يتعلموا معنى العدالة ومفهومها من الله ذاته، بل ويعيدوا نشر

وتحقيق ما تعلموه في العالم أجمع.

لقد أثـّر دخول الخطية على الحياة الإنسانية بشكل مأساوي، حيث قلّت قدرة الإنسان على المعرفة الحقيقة بالله والعيش في محيط تسوده العدالة. «لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ» (تك ٤: ١- ١٦، ٢٣- ٢٤، ٦: ١- ٨، ١١- ١٣). لكن كان فداء الله للإنسان ابتداءً من دعوة إبراهيم واختيار شعب إسرائيل، يهدف إلى إعادة إحياء الجنس البشري وفقًا لدوره المقصود والمدعو له منذ بداية الخليقة. في خطة الخلاص التي أعدها الله لشعب إسرائيل، وضحت طبيعة العدالة الإلهية جليًّا، ومرة أخرى تم إرشاد هؤلاء المختبرين لتلك العدالة أن ينشروا ما رأوه وتعلموه.

من يحملوا صورة الله يجب عليهم أيضًا أن يطبقوا عدالة الله.

"يَا شَعْبِي، مَاذَا صَنَعْتُ بِكَ وَبِمَاذَا أَضْجَرْتُكَ؟ اشْهَدْ عَلَيَّ! إِنِّي أَصْعَدْتُكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَفَكَكْتُكَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ، وَأَرْسَلْتُ أَمَامَكَ مُوسَى وَهَارُونَ وَمَرْيَمَ. يَا شَعْبِي اذْكُرْ بِمَاذَا تَآمَرَ بَالاَقُ مَلِكُ مُوآبَ، وَبِمَاذَا أَجَابَهُ بَلْعَامُ بْنُ بَعُورَ، مِنْ شِطِّيمَ إِلَى الْجِلْجَالِ، لِكَيْ تَعْرِفَ إِجَادَةَ الرَّبِّ.

بِمَ أَتَقَدَّمُ إِلَى الرَّبِّ وَأَنْحَنِي لِلإِلهِ الْعَلِيِّ؟ هَلْ أَتَقَدَّمُ بِمُحْرَقَاتٍ، بِعُجُول أَبْنَاءِ سَنَةٍ؟ هَلْ يُسَرُّ الرَّبُّ بِأُلُوفِ الْكِبَاشِ، بِرِبَوَاتِ أَنْهَارِ زَيْتٍ؟ هَلْ أُعْطِي بِكْرِي عَنْ مَعْصِيَتِي، ثَمَرَةَ جَسَدِي عَنْ خَطِيَّةِ نَفْسِي؟ قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ، إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلهِكَ." (مي ٦: ٣- ٨)

"إِنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ هُوَ إِلهُ الآلِهَةِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ، الإِلهُ الْعَظِيمُ الْجَبَّارُ الْمَهِيبُ الَّذِي لاَ يَأْخُذُ بِالْوُجُوهِ وَلاَ يَقْبَلُ رَشْوَةً. الصَّانِعُ حَقَّ الْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ، وَالْمُحِبُّ الْغَرِيبَ لِيُعْطِيَهُ طَعَامًا وَلِبَاسًا. فَأَحِبُّوا الْغَرِيبَ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ." (تث ١٠: ١٧- ١٩).

وفقًا لأقوال أنبياء الكتاب المقدس، فإن النهج على منوال العدالة الإلهية، هو دليل واضح عما تعنيه معرفة الله. والمعرفة الحقيقية بالله تستلزم كلًا من تقديرنا لمدى حبه وتكريسه للاستقامة، وتعهد بأن يعيش الشخص حياته خاضعًا لعدالة الله (انظر هو ٤: ١– ٢، ٥: ٤، ٦:٦، إر ٢: ٨، ٤: ٢٢، ٩: ٢–٦، ٢٤، ٢٢: ١٦، إش ٥٨: ٢. وأيضًا تي ١: ١٦، ١يو ٤: ٨). أكد إرميا أن معرفة الله شيء أكثر أهمية من امتلاك الثروة أو العلم أو السلطة. فهناك أبعاد أعمق لمعرفة الله من مجرد الالتزام بالعقائد أو التدين، لكنها تحتاج منا الشعور بمراحم الله واكتشاف أولوياته لحياتنا، والتجاوب معهما.

"هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لاَ يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ. بَلْ بِهذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ: بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلًا فِي الأَرْضِ، لأَنِّي بِهذِهِ أُسَرُّ، يَقُولُ الرَّبُّ." (إر ٩: ٢٣– ٢٤، قارن مع ١كو ١: ١٨– ٢١).

وفي موضع آخر، يعارض إرميا الملك يهوياقيم بسبب بنائه بيتًا وسيعًا وعلالي فسيحة على حساب احتكاره واستغلاله للعمّال. ومن ثم يذهب النبي إرميا إلى الملك ليكرر على مسامعه العهد الذي قطعه أبوه "القضاء بالرحمة والعدالة"، الذي لم يجلب فقط البركات على يوشيا لكنه أيضًا دعم فهمه الحقيقي لشخص الله.

" وَيْلٌ لِمَنْ يَبْنِي بَيْتَهُ بِغَيْرِ عَدْل وَعَلاَلِيَهُ بِغَيْرِ حَقّ، الَّذِي يَسْتَخْدِمُ صَاحِبَهُ مَجَّانًا وَلاَ يُعْطِيهِ أُجْرَتَهُ. الْقَائِلُ: أَبْنِي لِنَفْسِي بَيْتًا وَسِيعًا وَعَلاَلِيَ فَسِيحَةً. وَيَشُقُّ لِنَفْسِهِ كُوًى وَيَسْقُفُ بِأَرْزٍ وَيَدْهُنُ بِمُغْرَةٍ. هَلْ تَمْلِكُ لأَنَّكَ أَنْتَ تُحَاذِي الأَرْزَ؟ أَمَا أَكَلَ أَبُوكَ وَشَرِبَ وَأَجْرَى حَقًّا وَعَدْلًا؟ حِينَئِذٍ كَانَ لَهُ خَيْرٌ. قَضَى قَضَاءَ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ، حِينَئِذٍ كَانَ

خَيْرٌ. أَلَيْسَ ذلِكَ مَعْرِفَتِي، يَقُولُ الرَّبُّ؟" (إر ٢٢: ١٣- ١٦).

موضع للرجاء

الرجاء الكتابي: هو ذلك التوقع الأكيد لمستقبل أفضل، والذي ترتبط جذوره أصلًا بمدى معرفة عدالة الله وأمانته. ولأن الله هو مصدر العدالة ونصيرها، ولأنه جدير تمامًا بالثقة، لذا فهناك دائمًا رجاء من أجل تغيير إيجابي. لعل الحاضر يبدو ملوثاً أو مشوهًا بخبرات سيئة من الشر والظلم، لكنّ «إله الرجاء»، الذي يسند الضعيف والمظلوم ويغير الأزمنة للخلاص (رو ١٥: ١٣، ٨: ١٨- ٣٠). «طُوبَى لِمَنْ إِلهُ يَعْقُوبَ مُعِينُهُ»، يهتف كاتب المزمور مرنمًا: وَرَجَاؤُهُ عَلَى الرَّبِّ إِلهِهِ ... الْمُجْرِي حُكْمًا لِلْمَظْلُومِينَ» (مز ١٤٦: ٥- ٧، قارن مع ١٠: ١٧- ١٨، ١٠٣: ٦- ٧).

يتبين أن مفهوم العدالة – كما نرى – يمكن فهمه من خلال ملاحظة معاملات الله في الماضي وفي الحاضر. لكن يبقي الإعلان الكامل للعدالة هو موضع للرجاء. وهو شيء لم يحدث بعد. هذا يعطي دلالاتين مهمتين للطريقة التي ينبغي علينا اتباعها في رؤيتنا للظروف والأحوال المعاصرة.

• **مساحات للنقد**: تعنى أنه لا يوجد أبدًا نظام سياسي أو اقتصادي بعينه يمكن أن يعتبر نظامًا مثاليًا كاملًا، أو حتى يحتوي على قدر كافٍ من العدالة. إذ أن جميع أنظمة البشر الاجتماعية ومراكز السلطة تفتقر للعدالة المطلقة. كل محاولة بشرية لخلق نوع من العدالة، حين تقاس مقابلة بالعدالة المثالية لملكوت الله، نجدها حتمًا متحيزة ومحدودة. لذلك فهناك دائمًا مساحات للنقد، ليس هناك مساحات قط للشعور بالكمال الذاتي، لكن دائمًا ما يكون هناك حاجة للتطوير.

* **دعوة للتحرك** : لا ينبغي التغاضي عن الظلم أو قبوله كواقع محتوم أو مُسلّم به. فليس علينا أن نُسلّم أنفسنا لشرور العالم، منتظرين باستكانة مجيء المسيح

الذي سيزيل كل هذا العناء. بل بالأحرى نعمل بدون توقف في ظل معية الله من أجل تحقيق العدالة فورًا، مستندين على إدراكنا أن الله سوف يكلل جهودنا بالإثمار في تجديد الخليقة وتغييرها. فإن عدالة الله الآتية سوف تأتي باعتبارها ذروة وقمة كفاح الجنس البشري من أجل الوصول إلى تحقيق العدالة لكنها ليست أبدًا بديلة عن الكفاح الإنساني لأجل تحقيق العدالة.

التزام أساسي

دائمًا ما تحتاج العدالة إلى جهد فهي لا تحدث من تلقاء نفسها. ولا تبزغ تلقائيًا فجأة بدون كفاح لتحقيقها. ولا هي نتيجة فرعية تلقائيًا أو عرضية لشيء آخر، كإدارة قوى السوق أو انتشار الديمقراطية في الغرب مثلًا. لكن العدالة تتطلب التكريس والكفاح. فهي مثل السلام، تحتاج للتكريس والتفاني، لأن هناك قوى ضخمة في كل مجتمع لها مصالح في الدفاع عن الظلم والاستغلال ضد تحقيق العدالة. (إش ٥١: ١، ١تي ٦: ١١، ٢ تي ٢: ٢، قارن مع مز ٣٤: ١٤، رو ١٤: ١٩، عب ١٢: ١٤، ١بط ٣: ١١، ١كو ١٤: ١). أدرك كاتب سفر الجامعة هذه الحقيقة قائلًا:

"ثُمَّ رَجَعْتُ وَرَأَيْتُ كُلَّ الْمَظَالِمِ الَّتِي تُجْرَى تَحْتَ الشَّمْسِ: فَهُوَذَا دُمُوعُ الْمَظْلُومِينَ وَلاَ مُعَزٍّ لَهُمْ، وَمِنْ يَدِ ظَالِمِيهِمْ قَهْرٌ، أَمَّا هُمْ فَلاَ مُعَزٍّ لَهُمْ." (جا ٤: ١).

"إِنْ رَأَيْتَ ظُلْمَ الْفَقِيرِ وَنَزْعَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ، فَلاَ تَرْتَعْ مِنَ الأَمْرِ، لأَنَّ فَوْقَ الْعَالِي عَالِيًا يُلاَحِظُ، وَالأَعْلَى فَوْقَهُمَا." (جا ٥: ٨).

لذا يجب أن يكون تحقيق مطلب العدالة التزامًا ومقصدًا أساسيًا لأولاد الله. يعلن أنبياء الكتاب المقدس أن هذا أمر لا غنى عنه لأنه بدون التزام بالعدالة، تفقد العبادة معانيها، حتى تلك العبادة التي أوصنا الله أن نلتزم بها. يذكر عاموس طرق

تحقيق العدالة يجب أن يكون مقصد أولاد الله

تعبدية تثير حنق وغضب الله لافتقارها للعدالة.

"بَغَضْتُ، كَرِهْتُ أَعْيَادَكُمْ، وَلَسْتُ أَلْتَذُّ بِاعْتِكَافَاتِكُمْ. إِنِّي إِذَا قَدَّمْتُمْ لِي مُحْرَقَاتِكُمْ وَتَقْدِمَاتِكُمْ لاَ أَرْتَضِي، وَذَبَائِحَ السَّلاَمَةِ مِنْ مُسَمَّنَاتِكُمْ لاَ أَلْتَفِتُ إِلَيْهَا. أَبْعِدْ عَنِّي ضَجَّةَ أَغَانِيكَ، وَنَغْمَةَ رَبَابِكَ لاَ أَسْمَعُ. وَلْيَجْرِ الْحَقُّ كَالْمِيَاهِ، وَالْبِرُّ كَنَهْرٍ دَائِمٍ." (عا ٥: ٢١- ٢٤).

يحذر ميخا من أن مضاعفة كمية أو جودة الذبيحة أو التقدمة لا يمكنها التعويض عن مطلب الله للعدالة والرحمة والتواضع.

"بِمَ أَتَقَدَّمُ إِلَى الرَّبِّ وَأَنْحَنِي لِلإِلهِ الْعَلِيِّ؟ هَلْ أَتَقَدَّمُ بِمُحْرَقَاتٍ، بِعُجُول أَبْنَاءِ سَنَةٍ؟ هَلْ يُسَرُّ الرَّبُّ بِأُلُوفِ الْكِبَاشِ، بِرِبَوَاتِ أَنْهَارِ زَيْتٍ؟ هَلْ أُعْطِي بِكْرِي عَنْ مَعْصِيَتِي، ثَمَرَةَ جَسَدِي عَنْ خَطِيَّةِ نَفْسِي؟ [8] قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ، إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلهِكَ." (مي ٦ : ٦- ٨).

يؤكد إشعياء غضب الله بسبب أشكال التدين التي تخفي ورائها الظلم والإجحاف، ولأنها مسألة مبدأ، فلذلك يرفض الله تمامًا الاستماع إلى الذين يصلون وأيديهم ملآنة دمًا.

"حِينَمَا تَأْتُونَ لِتَظْهَرُوا أَمَامِي، مَنْ طَلَبَ هذَا مِنْ أَيْدِيكُمْ أَنْ تَدُوسُوا دُورِي؟ لاَ تَعُودُوا تَأْتُونَ بِتَقْدِمَةٍ بَاطِلَةٍ. الْبَخُورُ هُوَ مَكْرَهَةٌ لِي. رَأْسُ الشَّهْرِ وَالسَّبْتُ وَنِدَاءُ الْمَحْفَلِ. لَسْتُ أُطِيقُ الإِثْمَ وَالاعْتِكَافَ. رُؤُوسُ شُهُورِكُمْ وَأَعْيَادُكُمْ بَغَضَتْهَا نَفْسِي. صَارَتْ عَلَيَّ ثِقْلاً. مَلِلْتُ حَمْلَهَا. فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا. اِغْتَسِلُوا. تَنَقَّوْا. اعْزِلُوا شَرَّ أَفْعَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ

عَيْنَيَّ. كُفُّوا عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ. تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ." (إش ١ : ١٢- ١٧).

في موضع آخر، يرفض إشعياء استخدام الصوم كوسيلة فعالة «لطلب الرب» و«الفرح في الرب» و«التقرب إلى الله» و«دعوة الله» حين تفشل الأمة في القضاء بالعدل. لا يكون للصوم أية فاعلية حين يُظلم العمّال ويسيطر العنف ويموت الفقراء جوعى.

"أَمِثْلُ هذَا يَكُونُ صَوْمٌ أَخْتَارُهُ؟ يَوْمًا يُذَلِّلُ الإِنْسَانُ فِيهِ نَفْسَهُ، يُحْنِي كَالأَسَلَةِ رَأْسَهُ، وَيَفْرُشُ تَحْتَهُ مِسْحًا وَرَمَادًا. هَلْ تُسَمِّي هذَا صَوْمًا وَيَوْمًا مَقْبُولاً لِلرَّبِّ؟ أَلَيْسَ هذَا صَوْمًا أَخْتَارُهُ: حَلَّ قُيُودِ الشَّرِّ. فَكَّ عُقَدِ النِّيرِ، وَإِطْلاَقَ الْمَسْحُوقِينَ أَحْرَارًا، وَقَطْعَ كُلِّ نِيرٍ. أَلَيْسَ أَنْ تَكْسِرَ لِلْجَائِعِ خُبْزَكَ، وَأَنْ تُدْخِلَ الْمَسَاكِينَ التَّائِهِينَ إِلَى بَيْتِكَ؟ إِذَا رَأَيْتَ عُرْيَانًا أَنْ تَكْسُوهُ، وَأَنْ لاَ تَتَغَاضَى عَنْ لَحْمِكَ...... حِينَئِذٍ تَدْعُو فَيُجِيبُ الرَّبُّ. تَسْتَغِيثُ فَيَقُولُ: هأَنَذَا." (إش ٥٨: ١: ١٤).

إذن القداسة كما ذكر عنها أنبياء الكتاب المقدس، هي ليست حالة من الامتياز العنصري لنا نحن المُميزين عن الأمم الأخرى باعتبارنا شعب الله المختار (تث ٧ : ٦، ١٤ : ٢- ٢١، ٢٦ : ١٩، قارن مع لا ٢٠: ٢٦). ولا هي في المقام الأول طاعة للطقوس الدينية الواجبة. أبرز إشارة إلى القداسة هي عندما تصبح العدالة أسلوب الحياة السائد.

وكما «يَتَعَالَى رَبُّ الْجُنُودِ بِالْعَدْلِ، وَيَتَقَدَّسُ الإِلهُ الْقُدُّوسُ بِالْبِرِّ.»، كذلك يجب على شعب الله أيضًا أن يترفعوا بالعدل (إش ٥ : ١٦). حيث تعني العدالة الكمال وأيضا الانفصال. القداسة تصف حياة كاملة من المثالية والوحدة والصلاح، حياة تعكس كمال وثبات شخص الله، حياة مفعمة بالعدالة.

التزام بالتحرك من أجل تحقيق العدالة

ذكرنا مرات عديدة أن العدالة في الكتاب المقدس ليست أفكارًا أو نظريات فلسفية مجردة، ولا مبادىء حسابية للتقييم. بل هي وصف لشخص الله، والطريقة التى يرتبط بها بالعالم (مز ١٠٣: ١٣- ١٤، ١٤٥: ٩). وهذا يظهر واضحًا من خلال الطريقة التي تعامل بها الله مع الظلم الذي واجه شعب إسرائيل ومذلتهم في أرض مصر (خر ٣: ٧- ٨، مز ١٠: ١٣- ١٧، ٣٥ : ١٠، ١٤٠: ١٢، إر ٢٠: ١٣). العدالة ليست فكرة خاملة، ولا هي الحفاظ على بعض الأوضاع أو القيم الثابتة في المجتمع. لكن تستند فكرة العدالة في الكتاب المقدس على أفعال إيجابية، واستخدام السلطة لإنصاف المظلوم وتخليصه من الظلم الواقع عليه. ولهذا صوّر عاموس العدالة كنهر دائم، بدلًا من التقليد الغربي الذي يصورها كمقاييس متوازنة بشكل متقن (عا ٥: ٢١- ٢٤).

هناك الكثير عن العدالة الكتابية أكثر من مجرد تطبيق الشريعة والقانون والحفاظ عليهما. فإن القانون يمكن أن يكون غير عادل، ويمكن للشريعة أن تعتمد على العنف، أما العدالة الكتابية فتتطلب استجابة فعالة ضد الشرالسائد، والتدخل الجذري من أجل «حَلَّ قُيُودِ الشَّرِّ. فَكَّ عُقَدِ النِّيرِ، وَإِطْلاَقَ الْمَسْحُوقِينَ أَحْرَارًا، وَقَطْعَ كُلِّ نِيرٍ» (إش ٥٨ : ٦). لذلك تستلزم العدالة وجود عهد ثابت: «اقْضُوا فِي الصَّبَاحِ عَدْلًا، وَأَنْقِذُوا الْمَغْصُوبَ مِنْ يَدِ الظَّالِمِ» (إر ٢١ : ١٢).

بحسب كلام إشعياء، غضب الله غضبًا شديدًا ليس لمجرد تفشي الظلم، لكن لفشل أي شخص في التصرف حياله.

"لأَنَّ مَعَاصِيَنَا كَثُرَتْ أَمَامَكَ، وَخَطَايَانَا تَشْهَدُ عَلَيْنَا، لأَنَّ مَعَاصِيَنَا مَعَنَا، وَآثَامَنَا نَعْرِفُهَا. تَعَدَّيْنَا وَكَذِبْنَا عَلَى الرَّبِّ، وَحِدْنَا مِنْ وَرَاءِ إِلهِنَا. تَكَلَّمْنَا بِالظُّلْمِ وَالْمَعْصِيَةِ.

هناك الكثير عن العدالة الكتابية أكثر من مجرد تطبيق الشريعة والقانون

حَبِلْنَا وَلَهَجْنَا مِنَ الْقَلْبِ بِكَلاَمِ الْكَذِبِ. وَقَدِ ارْتَدَّ الْحَقُّ إِلَى الْوَرَاءِ، وَالْعَدْلُ يَقِفُ بَعِيدًا. لأَنَّ الصِّدْقَ سَقَطَ فِي الشَّارِعِ، وَالاسْتِقَامَةَ لاَ تَسْتَطِيعُ الدُّخُولَ. وَصَارَ الصِّدْقُ مَعْدُومًا، وَالْحَائِدُ عَنِ الشَّرِّ يُسْلَبُ. فَرَأَى الرَّبُّ وَسَاءَ فِي عَيْنَيْهِ أَنَّهُ لَيْسَ عَدْلٌ. فَرَأَى أَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ، وَتَحَيَّرَ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ شَفِيعٌ. فَخَلَّصَتْ ذِرَاعُهُ لِنَفْسِهِ، وَبِرُّهُ هُوَ عَضَدَهُ. فَلَبِسَ الْبِرَّ كَدِرْعٍ، وَخُوذَةَ الْخَلاَصِ عَلَى رَأْسِهِ. وَلَبِسَ ثِيَابَ الانْتِقَامِ كَلِبَاسٍ، وَاكْتَسَى بِالْغَيْرَةِ كَرِدَاءٍ." (إش ٥٩: ١٢- ١٧، قارن مع حز ٢٢: ٢٥- ٣٠).

ومما لا شك فيه أن أولئك الذين يمتلكون السلطة، هم الأكثر مسئولية عن تطبيق العدالة في المجتمع. فهذه الفكرة التي تحظى بشبه قبول تام على المستوى العالمي في النظرية السياسية هي أيضًا صحيحة في الكتاب المقدس. القضاء بالعدل هو مهمة الحكومة الأولى والرئيسية. وقد عيّن موسى قادة وعرفاء في كل أسباط بني إسرائيل ليقضوا بالعدل بين الناس.

"قُضَاةً وَعُرَفَاءَ تَجْعَلُ لَكَ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ حَسَبَ أَسْبَاطِكَ، فَيَقْضُونَ لِلشَّعْبِ قَضَاءً عَادِلًا. [19]لاَ تُحَرِّفِ الْقَضَاءَ، وَلاَ تَنْظُرْ إِلَى الْوُجُوهِ، وَلاَ تَأْخُذْ رَشْوَةً لأَنَّ الرَّشْوَةَ تُعْمِي أَعْيُنَ الْحُكَمَاءِ وَتُعَوِّجُ كَلاَمَ الصِّدِّيقِينَ. [20]اَلْعَدْلَ الْعَدْلَ تَتَّبعُ، لِكَيْ تَحْيَا وَتَمْتَلِكَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ." (تث ١٦: ١٨-٢٠، قارن مع خر ١٨: ١٣- ٢٣).

وبالمثل فقد كانت المسئولية الرئيسية الواقعة على الملك العبري هي أقرب إلى تأكيد سيادة العدالة في الأرض من خلال كبح جماح الأقوياء وحماية الضعفاء.

"لِيَكُنْ مُبَارَكًا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي سُرَّ بِكَ وَجَعَلَكَ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ. لأَنَّ الرَّبَّ أَحَبَّ إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ جَعَلَكَ مَلِكًا، لِتُجْرِيَ حُكْمًا وَبِرًّا." (١مل ١٠: ٩، قارن مع ٢صم ٨: ١٥، تث ١٧: ١٨ – ٢٠).

«اَللّهُمَّ، أَعْطِ أَحْكَامَكَ لِلْمَلِكِ، وَبِرَّكَ لابْنِ الْمَلِكِ. يَدِينُ شَعْبَكَ بِالْعَدْلِ، وَمَسَاكِينَكَ بِالْحَقِّ." (مز ٧٢: ١-٢).

وَقُلِ: اسْمَعْ كَلِمَةَ الرَّبِّ يَا مَلِكَ يَهُوذَا الْجَالِسَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ، أَنْتَ وَعَبِيدُكَ وَشَعْبُكَ الدَّاخِلِينَ فِي هذِهِ الأَبْوَابِ. هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَجْرُوا حَقًّا وَعَدْلاً، وَأَنْقِذُوا الْمَغْصُوبَ مِنْ يَدِ الظَّالِمِ، وَالْغَرِيبَ وَالْيَتِيمَ وَالأَرْمَلَةَ. لاَ تَضْطَهِدُوا وَلاَ تَظْلِمُوا، وَلاَ تَسْفِكُوا دَمًا زَكِيًّا فِي هذَا الْمَوْضِعِ. (إر ٢٢: ٢-٣، ١٥- ١٦، قارن مع حز ٤٥: ٩).

وحيث أن القضاء بالعدل مهمة الملك العليا، فإنه من غير المدهش معرفة أن المهمة المستقبلية التي يأتي من أجلها المسيا – الملك الكامل المنتظر – هي إتمام عدالة الله وسلامه على الأرض.

"هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأُقِيمُ لِدَاوُدَ غُصْنَ بِرّ، فَيَمْلِكُ مَلِكٌ وَيَنْجَحُ، وَيُجْرِي حَقًّا وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ. (إر ٢٣: ٥)

لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هذَا." (إش٩: ٢-٧، قارن مع ١١: ١- ٥، ٤٢: ١- ٤، ٦١: ١-٩).

وكما سنرى في الفصل القادم، أن في العهد الجديد أصبح يسوع هو الشخص الوحيد الذي يتمم هذا التوقُّع. فهو عبد الله المختار الذي «يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النُّصْرَةِ.» (مت ١٢: ١٨- ٢٣، قارن مع إش ٤٢: ١- ٤، مت ٢٣: ٢٣).

حقيقة قائمة على العلاقات

إن كانت العدالة هي إحدى صفات الله، وإن كان البشر هم صورة الله ومدعوون لمحاكاة وتطبيق عدالة الله على أسلوب حياتهم مع بعضهم البعض ككيان مجتمعي، فإنه بذلك يتضح أن موضوع العدالة يرتكز أساسًا على العلاقات. ولهذا هناك رابطة قوية بين الله والجنس البشري والعالم، وعلاقة البشر ببعضهم البعض وبالقوانين العليا.

إنها، في الحقيقة، واحدة من السمات البارزة عن تعاليم العدالة والبر في الكتاب المقدس. إن العدالة الكتابية – من مفهومها الشامل – قائمة على العلاقات. إنها ليست سمة مميزة لشخص ما فيمتلكها دون غيره. أو ليست مجموعة من القواعد المجردة التي تعنى بالتوازن أو المساواة أو العدل. لكن العدالة تعنى أن تطبيق كل هذا ضروري من أجل خلق ورعاية علاقات سوية وثابتة ومضحية بين الأفراد. تقاس العدالة بمدى احترام وتقدير الناس للالتزامات الموضوعة عليهم ليحيوا داخل علاقات تدعم الحفاظ على كرامة الآخر والمساواة في الحقوق. كلا العنصرين ضروري؛ العلاقات السويّة وأمانة جميع الأطراف تجاه مطالب هذه العلاقات.

هذا في الأرجح ما يرمي إليه كُتَّاب الكتاب المقدس حين تأتي الإشارة إلى برٍّ وعدالة الله. الله عادل لأنه يبقى أمينًا في عهده مع شعب إسرائيل، حتي حينما تعكس إسرائيل عدم أمانتها تجاه هذه العلاقة. عدالة الله تعنى أن يبقى الله معتمدًا عليه حتى مع ما يقدمه الطرف الآخر من عدم أمانة تجاه العهد. وربما يتأكد ذلك بشكل أوضح في رسالة رومية الأصحاح الثالث، أن عدالة الله تنبع من أمانته وإخلاصه في وعوده.

"إِذاً مَا هُوَ فَضْلُ الْيَهُودِيِّ أَوْ مَا هُوَ نَفْعُ الْخِتَانِ؟ كَثِيرٌ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ! أَمَّا أَوَّلاً فَلأَنَّهُمُ

اسْتُؤْمِنُوا عَلَى أَقْوَالِ اللهِ. فَمَاذَا إِنْ كَانَ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ؟ أَفَلَعَلَّ عَدَمَ أَمَانَتِهِمْ يُبْطِلُ أَمَانَةَ اللهِ؟ حَاشَا! بَلْ لِيَكُنِ اللهُ صَادِقاً وَكُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِباً. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: "لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي كَلاَمِكَ وَتَغْلِبَ مَتَى حُوكِمْتَ". وَلكِنْ إِنْ كَانَ إِثْمُنَا يُبَيِّنُ بِرَّ اللهِ فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ اللهَ الَّذِي يَجْلِبُ الْغَضَبَ ظَالِمٌ؟ أَتَكَلَّمُ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ. حَاشَا! فَكَيْفَ يَدِينُ اللهُ الْعَالَمَ إِذْ ذَاكَ؟"

ترتكز العدالة الكتابية أساسا على العلاقات

هنا يؤكد لنا بولس الرسول أن عدالة الله تجاه إسرائيل – التي هي عهد دائم لعلاقته الوثيقة بشعبه المختار – لم تُقاس بعدم أمانة الشعب، الذي فشل في البقاء أمينًا تجاه الله من خلال الحياة في ظل العدالة وفقًا لقوانين الله. ومع ذلك، يوضح بولس الرسول أن عهد الله لإسرائيل لم يعنِ أنه كان يتجاهل أو يتغاضى ببساطة عن آثامهم. هل يغض الله النظر عن ظلم إسرائيل، فلا يكون صالحًا ليحكم العالم بعدله المحايد (رو ٢: ١– ٣، ٢٠). بالنسبة لله كان يرى ضرورة التعامل مع شعب إسرائيل وفقًا للعهود القائمة بينهم حتى مع فشلهم في الحفاظ على بقاء تلك العهود؛ والتي توضح بالنسبة لبولس الغرض الذي من أجله مات المسيح.

هذه السمات المرتبطة بالعلاقات في العدالة الكتابية، توضح السبب الذي يجعل كاتبي الكتاب المقدس لا يجدون تلك الصعوبة أو الصراع بين العدالة والرحمة. فرحمة الله هي حقًا تعبير عن عدالته.

"وَلِذلِكَ يَنْتَظِرُ الرَّبُّ لِيَتَرَاءَفَ عَلَيْكُمْ. وَلِذلِكَ يَقُومُ لِيَرْحَمَكُمْ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهُ حَقّ. طُوبَى لِجَمِيعِ مُنْتَظِرِيهِ. (إش ٣٠: ١٨، قارن مع مز ٨٥ : ١٠).

كثيرًا ما نفتكر في العدالة والرحمة على أنهما متناقضان. إظهار الرحمة وقت وقوع الخطأ يعنى استبعاد أو إهمال العقوبة التي تتطلبها العدالة وقتئذ. وبالتالي تُظهر الرحمة جانبًا من الظلم. لكنها الحل الوحيد حين نفكّر في العدالة من منطلق

حسابي وقانوني صارم. بدلًا من كل هذا، لو تفهّمنا العدالة من منطلق إحياء علاقات سوية، عندها ستكون الرحمة الطريق الأمثل لبلوغ العدالة. تساعد الرحمة على إبراز العدالة بدلًا من التدخل في سياستها. ويعتبر القبول الودي للأخطاء التي لا يُعصم منها الإنسان أبدًا شيء ضروري من أجل تأسيس علاقات سوية. وحيث يقع الفشل، يجب أن تمتزج العدالة بالرحمة وإلا فهي ليست عدالة حقيقية.

"هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلًا، اقْضُوا قَضَاءَ الْحَقِّ، وَاعْمَلُوا إِحْسَانًا وَرَحْمَةً، كُلُّ إِنْسَانٍ مَعَ أَخِيهِ. (زك ٧: ٩، قارن مع هو ١٢: ٦، مي ٦: ٨، يع ٢: ١٣).

الانحياز للمحرومين

نحن الآن بصدد التعرف على إحدى أهم الرؤى العميقة في التعاليم الكتابية عن العدالة: والتي تتطلب أولويات متنوعة في أوضاع مختلفة. في بعض الأحوال، تتطلب العدالة نوعًا من الحيادية التي تتصف بالنزاهة، تبرؤ من كل محاباة. وفي أحوال أخرى، تتطلب تحيُّزًا مطلقًا، ومحاباة واضحة تجاه مصالح أطراف معينة على حساب أطراف أخرى. العدالة هي منظومة من الحيادية والتحيُّز، المحاباة واللامحاباة، المساواة والتفاوت، تبعًا لنوعية وظروف القضايا المطروحة على الساحة.

فمن ناحية مبدئية، يعتبر الناموس الكتابي أن للنزاهة أو الحيادية أهمية حاسمة خاصة في التعامل مع الأخطاء الإجرامية أو الفصل في نزاع بين خصوم. وبعكس الشعوب القديمة الأخرى، حيث اتبعت القوانين والعقوبات المختلفة تعاملات مختلفة، كان القانون اليهودي الإجرائي والجنائي ينادي بالمساواة بشكل جذري، فكان جميع أفراد المجتمع يخضعون لنفس المعايير، وكان على القضاة أن يتجاهلوا تمامًا الطبقات العليا سواء اجتماعية كانت أو اقتصادية في القضايا المطروحة، والامتناع

عن الاتجار بالعدالة لمن يدفع أكثر.

"اسْمَعُوا بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ وَاقْضُوا بِالْحَقِّ بَيْنَ الإِنْسَانِ وَأَخِيهِ وَنَزِيلِهِ. لاَ تَنْظُرُوا إِلَى الْوُجُوهِ فِي الْقَضَاءِ. لِلصَّغِيرِ كَالْكَبِيرِ تَسْمَعُونَ. لاَ تَهَابُوا وَجْهَ إِنْسَانٍ لأَنَّ الْقَضَاءَ لِلَّهِ. وَالأَمْرُ الَّذِي يَعْسُرُ عَلَيْكُمْ تُقَدِّمُونَهُ إِلَيَّ لأَسْمَعَهُ." (تث ١: ١٦- ١٧).

"لاَ تُحَرِّفِ الْقَضَاءَ، وَلاَ تَنْظُرْ إِلَى الْوُجُوهِ. وَلاَ تَأْخُذْ رَشْوَةً لأَنَّ الرَّشْوَةَ تُعْمِي أَعْيُنَ الْحُكَمَاءِ وَتُعَوِّجُ كَلاَمَ الصِّدِّيقِينَ. (تث ١٦: ١٩، قارن مع مي ٧: ٣- ٤، عا ٥: ١٢).

"وَالآنَ لِتَكُنْ هَيْبَةُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ. احْذَرُوا وَافْعَلُوا. لأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ الرَّبِّ إِلهِنَا ظُلْمٌ وَلاَ مُحَابَاةٌ وَلاَ ارْتِشَاءٌ." (٢أخ ١٩: ٧، قارن مع تث ١٠: ١٧، أع ١٠: ٣٤، رو ٢: ١١، كو ٣: ٢٥، أف ٦: ٩، ١بط ١: ١٧).

ليس هناك صراع بين العدالة والرحمة.

في حين تظهر في الكتاب المقدس أهمية النزاهة بالنسبة لتطبيق العدالة الجزائية والإجرائية، لكن يبرز اختلاف بسيط عند اعتبار العدالة الاجتماعية (التي تتعامل مع طريقة توزيع الثروة، والموارد الاجتماعية، والسلطة السياسية في المجتمع). هنا يظهر بعض التحيُّز؛ حيث يتم توجيه اهتمام خاص للرعاية بأربع فئات محددة، هم الأرامل والأيتام والغرباء (أو المهاجرون) وطبقة الفقراء.

"وَلاَ تَضْطَهِدِ الْغَرِيبَ وَلاَ تُضَايِقْهُ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ. لاَ تُسِيءْ إِلَى أَرْمَلَةٍ مَا وَلاَ يَتِيمٍ. إِنْ أَسَأْتَ إِلَيْهِ فَإِنِّي إِنْ صَرَخَ إِلَيَّ أَسْمَعُ صُرَاخَهُ، فَيَحْمَى غَضَبِي وَأَقْتُلُكُمْ بِالسَّيْفِ، فَتَصِيرُ نِسَاؤُكُمْ أَرَامِلَ، وَأَوْلاَدُكُمْ يَتَامَى." (خر ٢٢: ٢١- ٢٤).

"لاَ تُعَوِّجْ حُكْمَ الْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ، وَلاَ تَسْتَرْهِنْ ثَوْبَ الأَرْمَلَةِ. وَاذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا فِي مِصْرَ فَفَدَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ هُنَاكَ. لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ أَنْ تَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ." (تث ٢٤: ١٧- ١٨، خر٢٣: ٩).

أحيانًا تتطلب العدالة الحيادية وأحيانًا التحيز.

"وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَقْضُونَ أَقْضِيَةَ الْبُطْلِ، وَلِلْكَتَبَةِ الَّذِينَ يُسَجِّلُونَ جَوْرًا لِيَصُدُّوا الضُّعَفَاءَ عَنِ الْحُكْمِ، وَيَسْلُبُوا حَقَّ بَائِسِي شَعْبِي، لِتَكُونَ الأَرَامِلُ غَنِيمَتَهُمْ وَيَنْهَبُوا الأَيْتَامَ. وَمَاذَا تَفْعَلُونَ فِي يَوْمِ الْعِقَابِ، حِينَ تَأْتِي التَّهْلُكَةُ مِنْ بَعِيدٍ؟ إِلَى مَنْ تَهْرُبُونَ لِلْمَعُونَةِ، وَأَيْنَ تَتْرُكُونَ مَجْدَكُمْ؟" (إش ١٠: ١- ٤).

"هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلًا: اقْضُوا قَضَاءَ الْحَقِّ، وَاعْمَلُوا إِحْسَانًا وَرَحْمَةً، كُلُّ إِنْسَانٍ مَعَ أَخِيهِ. وَلاَ تَظْلِمُوا الأَرْمَلَةَ وَلاَ الْيَتِيمَ وَلاَ الْغَرِيبَ وَلاَ الْفَقِيرَ، وَلاَ يُفَكِّرْ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَرًّا عَلَى أَخِيهِ فِي قَلْبِكُمْ." (زك ٧: ٩- ١٠)

فإن الانحياز لمثل هذه الفئات (التي أحيانًا ما تشتمل على فئات أخرى كالسجناء، والمرضى، ومنسحقي القلب) توصي به طبيعة الله العادلة، «لأَنَّ الرَّبَّ يُجْرِي حُكْمًا لِلْمَسَاكِينِ وَحَقًّا لِلْبَائِسِينَ» (مز ١٤٠: ١٢، قارن مع أم ١٤: ٣١، ٢٢: ٢). من النظرة الأولى، يبدو مبدأ المحاباة تعاطفًا مع فئات معينة في المجتمع مخالفًا لتعاليم العدالة. أليس على المجتمع الذي يطبق سياسة العدل أن يرتقي إلى معاملة جميع المستويات بالمثل، دون مراعاة لمقدار الثروة التي يمتلكها الشخص، أو جنسيته، أو مركز عائلته؟ ليس بالضرورة: فهناك سببان رئيسيان من وجهة نظر الكتاب المقدس يجعلان بلوغ العدالة الاجتماعية يقتضي المحاباة تعاطفًا مع أطراف معينة:

• **لأن بعض الأطراف في المجتمع هم كثيرًا ما يكونون ضحايا للظلم أكثر من الآخرين.** خلق الله كل الناس متساوين في القيمة ومنح بسخاء كل الخليقة حقوقهم متعادلة (مز ٨: ٥- ٧، ١١٥: ١٦، قارن مع ٢٤: ١). لكن خلق الأفراد مختلفين في النوع، العرق، الشخصية، القدرات الفردية، والمواهب. يقع الظلم حين يستغل البعض هذه الاختلافات بطريقة أو بأخرى متجاهلين عطايا الله فيحفظونها

لأنفسهم لا لنفع بعضهم البعض. الصفة المشتركة التي تجمع ما بين الأرامل والأيتام والمهاجرين والفقراء بالأخص في المجتمعات الأبوية هو قابلية تعرضهم للاستغلال. فالأرملة ليس لها زوج يحفظ حقوقها، وليس لليتيم والدين، ولا الفقير يمتلك مالاً، وليس رفقة للغريب. فتصبح حقوقهم أكثر عرضة للضياع من أولئك المنتمين إلى طبقة الأغنياء وذوي السلطة، الذين عادة ما يمتلكون حقوقًا شرعية تمكنهم من حماية هذه الحقوق بذواتهم.

* **لأن وضع الفقراء والمظلومين يخالف خطة الله للعالم.** إن وجود الفقر المدقع هو في حد ذاته شر. لم تكن إرادة الله للبعض أن يعيشوا في رخاء وفيض غنى، بينما يعاني البعض الآخر من الحرمان بل ويموتون جوعى. لم تكن إرادة الله أن يدخر البعض ويكتنز الطعام والأرض، بينما يخور آخرون من كثرة الديون وقسوة العبودية (عد ١١: ٣١ - ٣٣، لا ٢٥: ٨- ١٧). لهذا كان تسديد احتياج الفقراء ليس شيئًا من الإحسان، لكن تتميمًا للعدالة، فذلك يساعد في تحريك المجتمع نحو تحقيق قصد الله للعالم. في المفهوم الكتابي، جاءت تجربة قياس العدالة في المجتمع من خلال رحيل أفراده الأكثر عرضة للظلم وهجره. أبرز مؤشر إلى الظلم هو حرمان الناس من الموارد والحاجات الأساسية، فهم في أشد الحاجة للاستمرار والازدهار كأي بشر آخر حر ومثمر.

تعد محاباة الله أو "خياره التفضيلي" للفقراء احدى مقومات تحقيق المساواة المجتمعية. في الصراع الدائم للعدالة الاجتماعية - حيث تبدو الموارد دومًا إلى جانب الغنيّ وصاحب السلطة - يسّوي الله الأمور ويعدلها بمساندته للفقراء ومن لا ظهر لهم. ليس الله غير مبالٍ بهذا الصراع، لكنه بالأحرى:

"الْمُجْرِي حُكْمًا لِلْمَظْلُومِينَ، الْمُعْطِي خُبْزًا لِلْجِيَاعِ. الرَّبُّ يُطْلِقُ الأَسْرَى. الرَّبُّ يَفْتَحُ

أَعْيُنَ الْعُمْيِ. الرَّبُّ يُقَوِّمُ الْمُنْحَنِينَ. الرَّبُّ يُحِبُّ الصِّدِّيقِينَ. الرَّبُّ يَحْفَظُ الْغُرَبَاءَ. يَعْضُدُ الْيَتِيمَ وَالأَرْمَلَةَ، أَمَّا طَرِيقُ الأَشْرَارِ فَيُعَوِّجُهُ". (مز ١٤٦: ٥- ٩).

إذن كيف يعضد الله الفقراء؟ كيف يُطعم الجياع ويساند المظلومين؟ ووفقًا لما دونه كُتَّاب الكتاب المقدس، ما الطرق التي تظهر فيها محاباة عدالة الله واضحة تجاههم ؟ من خلال تعاملات عدة :

١- من خلال تدخل الله الذي يذكره التاريخ من أجل إنقاذ ضعفاء وفقراء إسرائيل من عبودية أرض مصر القاسية وبجود عليهم في البرية. "مساندة" الله لضعفاء إسرائيل في الماضي، تُحيى ذكراها من خلال احتفالات سنوية كعيد الفصح الذي يؤكد للأبد تعضيد الله الفعلي للفقراء ومساندته لضعفهم.

٢- من خلال احتواء قوانين الله على ضمان الحماية والسعادة للفقراء والمنكسرين. تضمن قوانين عديدة سداد الاحتياجات الأساسية من المأكل والملبس والمسكن والأمان للمُعدمين والمحرومين. وأولئك الذين ليس لهم وطن؛ لهم حق الدخول لموطن غريب من أجل سداد احتياجاتهم الأساسية.

"إِذَا حَصَدْتَ حَصِيدَكَ فِي حَقْلِكَ وَنَسِيتَ حُزْمَةً فِي الْحَقْلِ، فَلاَ تَرْجعْ لِتَأْخُذَهَا، لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ تَكُونُ، لِكَيْ يُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ عَمَلِ يَدَيْكَ. وَإِذَا خَبَطْتَ زَيْتُونَكَ فَلاَ تُرَاجعِ الأَغْصَانَ وَرَاءَكَ. لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ يَكُونُ. إِذَا قَطَفْتَ كَرْمَكَ فَلاَ تُعَلِّلْهُ وَرَاءَكَ. لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ يَكُونُ. وَاذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا فِي أَرْضِ مِصْرَ. لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ أَنْ تَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ." (تث ٢٤: ١٩- ٢٢، قارن مع ١٤: ٢٨، ٢٣: ٢٤- ٢٥، لا ١٩: ٩- ١٠).

"فِي آخِرِ ثَلاَثِ سِنِينَ تُخْرِجُ كُلَّ عُشْرِ مَحْصُولِكَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ وَتَضَعُهُ فِي أَبْوَابِكَ. فَيَأْتِي اللاَّوِيُّ، لأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ قِسْمٌ وَلاَ نَصِيبٌ مَعَكَ، وَالْغَرِيبُ وَالْيَتِيمُ وَالأَرْمَلَةُ الَّذِينَ

يحقق الله التوازن بمساندته للفقراء والمستضعفين

فِي أَبْوَابِكَ، وَيَأْكُلُونَ وَيَشْبَعُونَ، لِكَيْ يُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ عَمَلِ يَدِكَ الَّذِي تَعْمَلُ." (تث ١٤: ٢٨ – ٢٩).

حتي على مدار السنين السبتية وقت إراحة الأرض، يكون للفقراء الحق في جمع ما يكفيهم من الطعام.

"وَسِتَّ سِنِينَ تَزْرَعُ أَرْضَكَ وَتَجْمَعُ غَلَّتَهَا، وَأَمَّا فِي السَّابِعَةِ فَتُرِيحُهَا وَتَتْرُكُهَا لِيَأْكُلَ فُقَرَاءُ شَعْبِكَ. وَفَضْلَتُهُمْ تَأْكُلُهَا وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. كَذلِكَ تَفْعَلُ بِكَرْمِكَ وَزَيْتُونِكَ." (خر ٢٣: ١٠– ١١).

تستدعي طقوس أيام السبت واليوبيل الإبراء من الديون وإطلاق الأسرى وإرجاع الأرض لملاّكها الأصليين (تث ١٥: ١–١١، لا ٢٥: ٨– ١٧، خر ٢٣: ١٠– ١١). تعترف هذه القوانين بالحاجة إلى نظام سياسى منسق ينهي النزعة المتأصلة والمأثورة في كل الأنظمة الاقتصادية بتمركز الثروة والسلطة في أيدي القليلين على حساب الأكثرية العظمى. يشك العلماء في أن هذه الأحكام الثورية طُبّقت بصورة عملية أو حتى عُوملت بتقدير مطلق. لكنها ظلت تذكِرة لشعب إسرائيل بتحيز الله لجانب المظلومين.

٣– من خلال إرسال الله لأنبيائه ليتصدوا للأغنياء والأقوياء، بالإضافة إلى وصية الملك ذاته، جاءت وصية الله بالقضاء بالعدل وتحذيره المُلحّ على أن يكون حكمهم لصالح الضعفاء والمساكين.

"اَلرَّبُّ يَدْخُلُ فِي الْمُحَاكَمَةِ مَعَ شُيُوخِ شَعْبِهِ وَرُؤَسَائِهِمْ، وَأَنْتُمْ قَدْ أَكَلْتُمُ الْكَرْمَ. سَلَبُ الْبَائِسِ فِي بُيُوتِكُمْ. مَا لَكُمْ تَسْحَقُونَ شَعْبِي، وَتَطْحَنُونَ وُجُوهَ الْبَائِسِينَ؟ يَقُولُ السَّيِّدُ رَبُّ الْجُنُودِ." (إش ٣: ١٤– ١٥، قارن مع عا ٢: ٦– ٧، ٤: ١– ٣، ٥: ١٠– ١٣، إر ٥: ٢٦ – ٢٩، مل ٣: ٥، زك ٧: ٩– ١٤).

٤- من خلال وعود الله للفقراء بحياة جديدة، حيث يشبع الجياع ويشفي المرضى ويطلق الأسرى أحرارًا وينتهي كل ألم (إش ٣٥: ٣- ٧، ٦١: ١- ٩، قارن مع لو ٤: ١٨- ١٩). هذا الوعد يمنح راحة للحاضر ورجاءً للمستقبل، لأنه مادام وعد الله، فهو قادر أن يتممه أيضًا.

"اَللهُ طَرِيقُهُ كَامِلٌ. قَوْلُ الرَّبِّ نَقِيٌّ. تُرْسٌ هُوَ لِجَمِيعِ الْمُحْتَمِينَ بِهِ." (مز ١٨: ٣٠، قارن مع ٢صم ٢٢: ٣١).

نشاط تجديدي

انحياز الله لجانب الفقراء الذي سبق وذكرناه، هو بسبب ضعفهم أمام مواجهة التيارات الجارفة والظالمة. لكن أيضًا الفقراء ليسوا بمستقيمين أو أفاضل بالفطرة، فهم ليسوا دائمًا معصومين من الخطأ. وعلى هذا النحو، يوصي الناموس الكتابي حين تُوجه اتهامات في المحاكم ضد الفقراء، أن على النظام القضائي أن يحكم بمنتهي الحيادية بين جميع الأطراف.

"لاَ تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ. لاَ تَأْخُذُوا بِوَجْهِ مِسْكِينٍ وَلاَ تَحْتَرِمْ وَجْهَ كَبِيرٍ. بِالْعَدْلِ تَحْكُمُ لِقَرِيبِكَ." (لا ١٩: ١٥).

"لاَ تَتْبَعِ الْكَثِيرِينَ إِلَى فَعْلِ الشَّرِّ، وَلاَ تُجِبْ فِي دَعْوَى مَائِلًا وَرَاءَ الْكَثِيرِينَ لِلتَّحْرِيفِ. وَلاَ تُحَابِ مَعَ الْمِسْكِينِ فِي دَعْوَاهُ." (خر ٢٣: ٢- ٣).

لكن الحيادية ضرورية جدا في حالة إثبات الذنب واستحقاق العقوبة. فقد تم الاتفاق على أن الغاية العظمى من النظام القضائي الكتابي هو إعادة تجديد ما أتلفه المخربون. هذا التجديد مطلوب على مستويات متفاوتة مثل تعويض الضحية إلى التمام، وإعادة تاهيل المذنب ليكون بنية صالحة في المجتمع، أيضًا إعادة إصلاح المجتمع من حالة الخوف والخطية والنجاسة وتحويله إلى السلام والحرية.

في التشريع الكتابي نجد أن العقاب يجب في بعض الأحيان تطبيقه على جرائم معينة. يعطى العقاب إشارة لنهاية شيء ما، لكن العقاب في حد ذاته ليس النهاية. على عكس ما يعتقده معظم الناس حاليًا أن ليس العقاب في حد ذاته هو ما يرضي مطالب العدالة. لكن العدالة تكتمل بالتوبة، وإعادة الاسترداد والتجديد. يعمل العقاب كآلية مساعدة على إحداث مثل هذا التجديد.

العقوبة المثلى لكثير من الجرائم كانت تعويض الضحية وإعادة الأوضاع كما كانت. هذه التعويضات موصى بها في القانون الكتابي، معتمدة بشكل كبير على المساواة في القيمة (خر ٢١: ٢٦- ٣٦). تتطلب بعض الجرائم عقوبة مضاعفة، وربما أكثر من الضعف، بحسب خطورة الجريمة وموقف المجرم (خر ٢٢: ١، ٤، ٩، أم ٦: ٣٠- ٣١، خر ٢٢: ٧)؛ لو أعاد السارق بندم ما سلبه فإنه يردها إضافة إلى الخمس (لا ٦: ٥). لو أُمسك اللص متلبسًا بالمسروقات فإنه يردها بالضعف. وإن تخلص من المسروقات وحاول إخفاء فعلته فإنه يردها أربعة أو خمسة أضعاف. لو لم يتمكن اللص من دفع المستحقات فإنه يؤخذ عبدًا للطرف المسلوب حقه حتى يسدد دينه (خر ٢٢: ٣). لكن العبودية تستمر لمدة ٦ سنوات فقط كحد أقصى أو لحين حلول سنة اليوبيل (خر ٢١: ١- ٦، تث ١٥: ١٢- ١٧، لا ٢٥: ٣٩- ٥٥). لم تكن العبودية مريعة في الشرق القديم كما الحال في عصرنا الحديث هذا، في الحقيقة يمكن القول بأن العبودية كانت أكثر إنسانية عن السجن عند اليهود.

حتي مع وجود عقاب من شأنه إيذاء المجرم أكثر من تعويض الضحية، لكن يظهر مغزى التعويض مهمًا بشكل أكبر. فإن العقاب هدفه تعليمي وتهذيبي أكثر منه جزائي، بالإضافة إلى أنه يعمل في أكثر من اتجاه:

• ساعدت العقوبات المجتمعات الأكثر اتساعًا على التعرف على السلوكيات التي

تشكل أكبر تهديد على الصالح الروحي والأخلاقي. في الناموس الكتابي، تعكس قسوة العقوبات تركيز أساسي على نطاق القيم. على عكس المجتمعات القديمة وكل المجتمعات الأوروبية حتى القرن الثامن عشر. لم ينص التشريع الالهي مطلقًا على تطبيق عقوبة الموت على الجرائم المرتكبة ضد الممتلكات، ولا تخصص أيضًا من أجل جرائم ارتكبت ضد أناس، أو لسبب انتهاك شعب اسرائيل عهده في علاقته مع الله. لكن خُصص لحالات قليلة لزم فيها تطبيق عقوبة الموت (تث ١٣: ٨- ٩، ١٩: ١٣، ٢١، ٢٥: ١٢، عد ٣٥: ٣١- ٣٤، قارن مع تك ٤: ١١-١٥، خر ٢: ١١- ١٤، ٢صم ١٢: ١٣، ١٤: ١١). كما لاحظنا في الفصل السابق أن الهدف من تطبيق مثل هذه العقوبات الصارمة على جرائم معينة هو لردع الطبيعة الآثمة والمخرّبة بالأفعال وبالأخص التي تحط من كرامة الانسان وتنكر تميز إسرائيل بكونها مختلفة عن الأمم والشعوب الأخرى.

ليس العقاب هو الحل الأمثل من أجل تحقيق مطلب العدالة

• ساعد العقاب أيضًا على تصوير الطريقة التي من خلالها تتسبب الأخطاء الجسيمة في خلق عواقب وخيمة، تلك العواقب التي لا يمكن تجاهلها بل لابد من النظر فيها. ولعل التوبة هي أفضل طريقة للتعامل مع هذه العواقب مع التكفير والغفران ومحاولة الإصلاح والتجديد. وبالمعنى الصحيح أصبح للعقاب دورًا في الحث على التوبة عن طريق نبذ الطاقة السلبية التي تصدر نتيجة الأفعال السيئة وغير المقبولة.

"هَلْ مَسَرَّةً أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ؟ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. أَلاَ بِرُجُوعِهِ عَنْ طُرُقِهِ فَيَحْيَا؟" (حز ١٨: ٢٣، قارن مع ٢تس ٣: ١٣- ١٥، ١ك ٥: ٥، ٢كو ٢: ٦- ٨، ٢تس ١: ١٩- ٢٠، عب ١٢: ٧- ١١).

في بعض الأحوال تطلب التكفير أو نزع الشر من إسرائيل حتمًا موت الخاطىء الذي يعتبر مصدر تدنيس حقيقي حيث يهدد قدسية ووجود شعب الله (عد ٣٥: ٣٣، قارن مع تث ١٣: ٥- ١١، ١٦، ١٧: ٧، ١٢، ١٩: ١٩، ٢١:٢١، ٢٢: ٢١- ٢٢، ٢٤، ٢٤ : ٧، لا ٢٤: ١٤، قض ٢٠: ١٣، ٢صم ٤: ١١). يساعد العقاب الناس ويُمكّنهم من الرجوع لحياة الاستقامة.

• يقدم العقاب أيضًا ردعًا على الجرائم التي يمكن أن يتم تقليدها. لو أبرز العقاب أن هناك أفعالاً معينة تعيق رخاء وسعادة المجتمع، فإن من يشهدون على ذلك ويؤيدنه يكونوا ملزمين بالامتناع عن ايذاء أنفسهم أو إعاقة راحة الآخرين.

"وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرًّا ..... قَائِلًا، نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلاَ آبَاؤُكَ .... تَرْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ، لأَنَّهُ الْتَمَسَ أَنْ يُطَوِّحَكَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. فَيَسْمَعُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَيَخَافُونَ، وَلاَ يَعُودُونَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ الشِّرِّيرِ فِي وَسَطِكَ." (تث ١٣: ٦- ١١، انظر أيضًا ١٧: ١٢-١٣، ٢١: ٢٠- ٢١، أع ٥: ١١، رو ١٣: ٣- ٥، ١تي ٥: ٢٠).

إذن فالعقاب هو عنصر أساسي في الناموس الكتابي. لكن الاهتمام البارز للعدالة الكتابية ليس بمعاقبة الخطاة، لكن باستعادة السلام عن طريق التعامل مع الفساد المسبب لارتكاب الخطية ومكافحته.

ملخص

العدالة من المنظور الكتابي هي حقيقة مركبة ومتعددة الأوجه. ترتبط بأبعاد الخبرات الانسانية - كلٍّ على حدى - ولها تطبيقات متنوعة. يمكن القول إن أكثر مصطلح يستوعب روح العدالة الكتابية واتجاهها، سواءً كانت عدالة اجتماعية أو الإجرامية، هو «إعادة الإصلاح أو الاسترداد». فإن مفهوم العدالة يتدفق من كونه

أحد صفات الله ليحدد الطريق الذي عينه الله للعالم ليسلك فيه. لكن معالم كثيرة تحولت إلى الفوضى، والسلام الذي وهُب للخليقة تم خرقه. لكن دائمًا ما يعمل الله على اعادة وضع العالم كما يجب أن يكون عليه.

تهدف العدالة الكتابية إلى إعادة الكرامة والاستقلال لكل من حُرم ظلمًا من الحصول على الموارد الأساسية الكافية لسداد احتياجاته الضرورية للمعيشة وللتقدم الانساني. الله يعيد نشر السلام من خلال اخماده لكل سلطة جائرة واطلاقه للضحايا أحرارًا، وبواسطة تبرئة الإرث التالف من تأثير الخطية والموت. لتتعرف إلى هذا الإله يعنى أن تعرف أكثر عن معنى العدالة. ولتحب هذا الإله فعليك أن تشترك في تلك الحملة العظيمة التي يقودها الله من أجل إعادة العدالة لعالمنا من جديد.

إعادة الإصلاح هو أفضل وصف للعدالة الإلهية

- ٤ -

يسوع والعدالة

رأينا أن تحرير شعب إسرائيل من عبوديتهم القاسية في أرض مصر، وإعادة تصنيفهم كأمة حرة مستقلة يُظهر أن لعدالة الله سلطة خلق مجتمع مستقل بذاته، من شأنه أن يتدخل لوقف ومنع الظلم واعادة الحرية والسلام. دعيت اسرائيل لمحاكاة عدالة الله من خلال أسلوب حياتهم ومعيشتهم في العالم. وقد نجحت أحيانًا في ذلك لكن كثيرًا ما فشلت نظرًا لمرورها بسلسلة من الكوارث التاريخية على مرِّ الزمان.

وهكذا نما الأمل والرجاء بأنه ذات يوم في المستقبل ستظهر الحرية في عدالة الله على الأرض بشكل مختلف، مُعيدةً لإسرائيل مجدها ولتجديد الخليقة كلها.

في العهد الجديد، يعتبر يسوع مثالًا لتحقيق كمال هذا الرجاء الكتابي. يسوع يجسد عدالة الله. فبه وُجدت عدالة السماء على الأرض بطريقة جديدة ومثيرة. ذكر كُتَّاب العهد الجديد عن يسوع أن هو «البار»، فحياته وموته وقيامته أظهروا وحي عدالة الله على الأرض. (لو ٢٣: ٤٧، مت ٢٧: ١٩، ١بط ٣: ١٨، يع ٥: ٦، ١يو ٢: ٢٩، رؤ ١٥: ٣، قارن مع رو ١: ١٦- ١٧، ٣: ٢١- ٢٦). لذلك فإن أكثر ما يمكن للمسيحيين أن يتعلموا منه عن

عدالة الله متحققة في شخص يسوع، ولها سلطة تحرير وقدرة على خلق مجتمع مستقل بذاته

العدالة هو اختبار حياة وتعاليم ومعاملات الرب يسوع.

مهمة تحقيق العدالة

لقد كان يسوع مدركًا جيدأ للنبوة الكتابية بعيدة الأمد، أنه في أيام تأتي يقول الرب:."وَأُقِيمُ لِدَاوُدَ غُصْنَ بِرّ، فَيَمْلِكُ مَلِكٌ وَيَنْجَحُ، وَيُجْرِي حَقًّا وَعَدْلًا فِي الأَرْضِ" (إر ٢٣: ٥، إش٩: ٢-٧، ١١: ١-٥، ٦١: ١-٩). مع بداية خدمته، صور يسوع بطريقة حية وبتأنٍّ هذه النبوات المسيانية عن طريق الإعلان عن أن مهمته هي تحقيق العدل للمظلومين.

"وَقَامَ لِيَقْرَأَ، فَدُفِعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ. وَلَمَّا فَتَحَ السِّفْرَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوبًا فِيهِ، "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ". ثُمَّ طَوَى السِّفْرَ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْخَادِمِ، وَجَلَسَ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ كَانَتْ عُيُونُهُمْ شَاخِصَةً إِلَيْهِ."

أثناء تقديمه لهذه التعاليم، كان يسوع ينوه عن مهمته التي جاء من أجلها. شرع في التصريح بأنه :" قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ" (مر ١: ١٤- ١٥، مت ٤: ١٧). أيضًا دعا المستمعين إليه أن يطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَهُمْ (مت ٦: ٣٣). شفي المرضى، أشبع الجياع، أخرج شياطين، ووقف متحديًا الأنظمة المهيمنة بالظلم والجور. كانت دعوته لتحقيق العدالة الخالصة في سفر متى، مذكورة مسبقًا بالتحديد في سفر إشعياء ٤٢.

وَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ فَشَفَاهُمْ جَمِيعًا. وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يُظْهِرُوهُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: "هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ

رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ. لاَ يُخَاصِمُ وَلاَ يَصِيحُ، وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لاَ يُطْفِئُ، حَتَّى يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النُّصْرَةِ. وَعَلَى اسْمِهِ يَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ" (مت ١٢: ١٤- ٢١، قارن مع إش ٤٢: ١- ٤).

تتناقض هذه النصوص الكتابية مع الصورة السائدة عن يسوع التي تظهره في صورة المعلم الروحي الذي له اهتمام طفيف بالقضايا الاجتماعية والسياسية. لقد كان شخص يسوع البعيد تمامًا عن السياسة يمثل لأمد طويل معتقدًا أساسيًا لدى التيارات التقوية السائدة وكذلك في أوساط البحث الأكاديمي. وينادي هذا الاتجاه أن يسوع جاء ليس كناشط سياسي وإنما كمخلّص. دعا إلى مملكة روحية وليس إلى مملكة أرضية. انصب اهتمامه على خلاص النفوس وليس تحوّل المجتمع. وهكذا فصل العلماء والوعاظ يسوع تمامًا عن القضايا المتعلقة بالعدالة في عصره (وبالمثل أيضا في أيامنا هذه).

غير أنه في الواقع ليس من الممكن عزل يسوع كليًّا عن الأمور السياسية والاجتماعية في عصره. إن لم يكن لملكوت الله تأثير على مملكة العالم، فلماذا أراد حكام وقضاة العالم القضاء على يسوع ؟ (يو ١٨: ٣٦- ٣٧) كيف ليسوع أن يستثير ويوقظ التوقعات المسيانية لدى اليهود بدون أن يتلامس مع التضمينات السياسية والحربية لدوره المسياني؟ هل من المعقول تاريخيًا أن يكون يسوع منفصلًا عن الأمور والقضايا المتعلقة بالسياسة؟ الإجابة ببساطة هي لا.

مملكة ليست من هذا العالم؟!

أحد الأسباب التي تجعلنا كثيرًا ما يغيب عن بالنا السمة السياسية في الكثير من تعاليم يسوع هو أننا نتبع منظومة محدودة جدًّا وعصرية جدًّا لتحديد الاتجاهات والأنشطة "السياسية" وتعيينها. حيث أننا نحاول دراسة الإنجيل ونحن نفصل في

عقولنا بين الكنيسة والدولة ونفكر في الأمور السياسية من منظور ديمقراطي غربي. لأن يسوع لم يؤسس حزبًا سياسيًّـا أو حتى يتقدم لمنصب في المجلس الأعلى لليهود وقتئذ، لأنه ببساطة لم يركز تعاليمه على طبيعة المؤسسات الاجتماعية، نحن نستنتج أن يسوع كان معلمًا دينيًا بدون أي ميول سياسية وظل بمعزل عن الحقائق الوضيعة الخاصة بالحياة السياسية.

لكن تمييزنا العصري بين الحياة السياسية والحياة الدينية يعتبر غريبًا بالنسبة للمجتمع اليهودي القديم. حيث اختبر القادة الدينيون في أيام يسوع السلطة السياسية. وكانت شريعة موسي هي شريعة الأرض

كان الهيكل هو مركز السلطة الدينية والمدنية، وأيضًا مصدر قوة الاقتصاد في أورشليم . كان المجلس الأعلى للقضاء يمثل أكبر قوة في الحكومة المحلية، وأخيرًا كانت السلطات في أورشليم مسئولة أمام الحاكم الروماني.

شكّلت السياسة والدين وحدة واحدة في منطقة اليهودية، وقد كان هذا هو الحال في العصور القديمة بشكل عام. وبناء على ذلك، كان صراع يسوع مع السلطات الدينية الذي يبدو ضخمًا بالنسبة لاعتبارات الأناجيل، بمثابة صراع مع مراكز القوي السياسية في داخل الأمة. والقضايا التي على المحك كانت أكبر بكثير من أن تُحل بمجرد الأطروحات اللاهوتية بل كان الطريق إلى حلها يكمن في تحقيق العدالة.

النتائج السياسية المترتبة على تعاليم يسوع لم تفلت من خصومه. فحياة يسوع ورسالته، ونبذه لعادات وتقاليد معينة، وإعادة تصحيحه للقانون وخصوصًا مع تصرفه التلقائي في فناء الهيكل، والذي فهمه أعداؤه على أنه تحدٍّ وتعدٍّ على حجر الزاوية في المجتمع اليهوديّ وعلى سلام المقاطعات الرومانية بشكل أساسي (قارن

مع لو ١٩: ٣٩، يو ١١: ٥٠). ليس من المدهش معرفة أن هؤلاء الأكثر عداءً ليسوع، هم من كانوا يحتلون أكبرالمراكز للسلطة الدينية أو السياسية أو العسكرية في مؤسسة الحكم، سواء يهوديّ أو أمميّ. حيث كانوا هم أكثر المستفيدين من بقاء الأمور على حالها وأكثر الخاسرين إذا تحققت مبادىء يسوع السامية والتي تتطلب إعادة تنظيم للعلاقات الشخصية والاجتماعية لتتفق مع عدالة ملكوت الله الآتي.

استيراتيچية ثنائية

موقف يسوع من الناحية السياسية يتجسد من خلال التحذير النبوي لأفعال الظلم والشرور الاجتماعية الصادرة من المجتمع المحيط من ناحية، ومن ناحية أخرى من خلال الدعوة لخلق مجتمع بديل تتثبت فيه حقيقة ملكوت الله. هذه الخطة أو الاستيراتيچية الثنائية واضحة على الأقل في أربعة محاور رئيسية في الحياة الاجتماعية ذكرها يسوع.

١- نبذ التمييز الاجتماعي

واحدة من أسمى سمات يسوع هي تركيزه واهتمامه بالطبقات المُهمّشة اجتماعيًّا مثل المُعدمين، الضعفاء، المنبوذين في المجتمع من النساء والأطفال والمشوهين جسديًّا والمرضي والمجانين. إشراقة شمس ملكوت الله متمثلةً في يسوع هي بمثابة أخبار سارة للفئة المُعدمة والمحرومة في المجتمع (لو ٤: ١٨- ٢٢، مت ١١: ٢-٦، لو ٧: ١٨- ٣٥). وهذا منحهم ارتياحًا من جهة قبول الله لهم رغم نبذ المجتمع وهجره، أيضًا وهبهم الضمان أن الله يعمل على إنهاء معاناتهم وتعويضهم من خلال شخص يسوع وتعاليمه.

تصدّى يسوع للتمييز الاجتماعي على نحوين مختلفين. انتهر يسوع كبار رجال

الدين صراحةً بسبب برهم الذاتي، وقاومهم من خلال تبعية الخطاة والمُهمشين والمنبوذين له (على سبيل المثال، مت ٩: ١٣، ٢١: ٣١، لو ٦: ٢٤- ٢٥، ١٦: ١٥، مر ٢: ١٥- ١٧، مت ٩: ١٠-١٣، لو ٥: ٢٧- ٣٢، مت ١١: ١٩، لو ١٥: ١-٢، لو ١٩: ١-١٠). وفي نفس الوقت استطاع تكوين مجتمع جديد يضمن أن يكون للفقراء أفضلية وأولوية (على سبيل المثال، لو ١٤: ١٢- ٢٤)، أتي إلى المرضى والمحبوسين (مت ٢٥: ٣١- ٤٦)، منح النساء كرامة ومساواة (على سبيل المثال، لو ٨: ١-٣، ١٠: ٣٨- ٤٢، مر ١٤: ٣-٩، ١٥: ٤٠- ٤١، يو ٣: ٧-٨)، وضع الأطفال كمثال للتشبه به (مر ٩: ٣٦، ٤٢، مت ١٨: ١- ٥، لو ٩: ٤٦- ٤٨، مر ١٠: ١٣-١٦، مت ١٩: ١٣-١٥، لو ١٨: ١٥-١٧)، قبل الأمم والسامريين وجعلهم متساويين في استقبال نعمة وعطية الله (على سبيل المثال، مر ٧: ٢٤- ٣٠، مت ١٥: ٢١- ٢٨، مر ١١: ١٧، ١٣: ١٠، مت ٨: ٥-١٣، لو ٧: ١-١٠، مت ١٢: ١٨، ٢١: ٤٣، لو ٢٠: ١٦، مت ٢٨: ١٩- ٢٠، لو ٩: ٥١- ٥٥، يو ٤: ٧- ٤٢).

٢- انتقاد الظلم الاقتصادي

من المستحيل أن تقرأ بشارة لوقا دون أن تستشعر عداء يسوع العميق لعنصر الماديّة، كمصدر بديل للأمن، فإن الثراء الفاحش يبني حاجزًا يهز الثقة بالله (مر ٤: ١٩، مت ١٣: ٢٢، لو ٤: ١٨، مر ١٠: ١٧-٣١، مت ١٩: ١٦-٣٠، لو ١٨: ١٨-٣٠، مت ٦: ٢١، لو ١٢: ١٦-٢١، ١٤: ١-١٤، ١٦: ١٣). علاوة على ذلك، فإن تركُّز الثروة الطائلة في أيدي القليلين هو دليل قاطع على الظلم الذي يصيب التركيب المجتمعي. فيتنعّم الأثرياء على حساب الفقراء والمُعدمين. كلمات يسوع الآتية: «لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ» (مر ١٤: ٧، مت ٢٦: ١١، يو ١٢: ٨) لا يجب أن تؤخذ على أنها استسلام سلبي أو تسليم منه للفقر كأمر واقع في المجتمع بحيث لا يمكن

تغييره. لأن هذه الكلمات في الحقيقة تنطوي على توبيخ، فطبقًا لسفر التثنية ١٥: ١١، ملازمة الفقر للشخص كان دليلًا قاطعًا على فشله في الحفاظ على شريعة العهد.

استعمال يسوع لهذا المصطلح المحير«الثروة غير الشرعية» الذي معناه حرفيًّا «مال الظلم» لعله يشير إلى أن السعي وراء الثروة على اعتبارها هدف ملازم للظلم (لو ١٦: ٩). هذا مؤكد في هجومه العلني ضد الأثرياء الطماعين في عصره.

"وَلكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ، لأَنَّكُمْ قَدْ نِلْتُمْ عَزَاءَكُمْ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الشَّبَاعَى، لأَنَّكُمْ سَتَجُوعُونَ." (لو٦: ٢٤- ٢٥).

انتقد يسوع بشدة صفوة الأغنياء بسبب ثلاثة شرور مترابطة معًا: تخزين الفائض والذي لا عوز له (لو ١٢: ١٥- ٢١، ١٦: ١٩، ٢١: ١-٤، مت ١١: ٨)، وتجاهل احتياجات الفقراء (لو ١٠: ٢٥-٣٧، ١٦: ١٩-٢٧)، أكل الضعفاء وإساءة استغلالهم (مر ١١: ١٥-١٩، ١٢: ٤٠، لو ٢٠: ٤٧، مت ٢٣: ٢٣، لو ١١: ٤٢). خلافًا لذلك، نجد يسوع يطوّب الفقراء.

"طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْمَسَاكِينُ، لأَنَّ لَكُمْ مَلَكُوتَ اللهِ. طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْجِيَاعُ الآنَ، لأَنَّكُمْ تُشْبَعُونَ. طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْبَاكُونَ الآنَ، لأَنَّكُمْ سَتَضْحَكُونَ." (لو ٦: ٢٠- ٢١، مت ٥: ٣- ١٢).

هنا لا يجزم يسوع بأن الفقر والجوع والدموع هي نتيجة التمسك بـ "القيم الروحية" في حدِّ ذاتها. إن الفقراء والجياع والبائسين ليسوا مطوّبين بسبب ظروفهم لكن لأن قصد الله لحياتهم أن يحوّل حالتهم ويغيرها. لن يعُد للفقر والألم أي وجود حين يكتمل ملكوت الله إلى التمام. فقوة الله العاملة في يسوع من أجل الشفاء

والتحرير ومن أجل خلق مجتمع جديد يقاوم الفقر والجوع وكل بؤس. في هذا المجتمع الجديد، سيسود موقف حاسم كليةً ضد الملكيات المادية. وأسلوب حياة مختلف من المشاركة والمقاسمة (على سبيل المثال، مر ١٠: ١٧- ٣٠، مت ٦: ٢-٤، ٧: ٧- ١١، لو ٦: ٣٥، ٣٨، ٨: ١-٣، ١٢: ٣٢- ٣٤، ١٩: ١- ١٠، ١٤: ٢٥- ٣٥، يو ١٢: ٦، ١٣: ٢٩)، من البساطة (مت ٦: ١٩-٣٤، لو ١٢: ٢٢- ٣١)، من التبعية المادية (مر٦: ٧- ١٣، قارن مع لو ٩: ٣، ١٠: ٤)، واحتراس تام من غُرُورِ الْغِنَى» (مر ٤: ١٩) هو من سمات أخلاقيات هذا المجتمع الجديد.

٣- عدم الثقة في السلطة المؤسسية

كان يسوع يوجه رسالته في نطاق البلاد المحتلة. تمركزت السلطة المطلقة في روما، لكن كان للحكام الأهليين الحق في استخدام صلاحياتهم القضائية وتطبيقها على المقاطعات التي يحكمونها، ماداموا يطبقونها لصالح الامبراطورية. في أيام يسوع، كان هيرودس رئيس ربع على الجليل، في حين حكم اليهودية الحاكم الروماني بيلاطس البنطي وتولى اليهود قضاة المجلس الأعلى (السنهدريم) إدارة الشئون الداخلية للبلاد.

نتيجة لذلك، فإن يسوع تواجه مع ثلاثة أشكال من سلطة الولاية أو السلطة المؤسسية: السلطة الروحية والمحلية لقادة اليهود الدينيين، والسلطة المدنية لهيرودس وأتباعه، ثم السلطة الامبراطورية العسكرية لروما. وكان ينتقد الثلاثة. الافتراض الأساسي النابع من انتقاده السياسي هو أن السيادة المطلقة لله وحده، وعدالة الله يجب أن تكون المقياس الذي يسير عليه أصحاب السلطة البشرية.

• طوال فترة خدمة الرب يسوع على الأرض لاقي صدامًا كبيرًا من جهة قادة اليهود الدينيين. أجاب يسوع على مقاومتهم بانتقاد لاذع لتعاليمهم وتقليدهم في

المجتمع (على سبيل المثال، مر ٧: ٦- ٢٣، ١٢: ١- ١٢، ٤١: ٤٤، ١٣: ٩- ١٠، لو١١: ٤٢- ٤٤، ١٦: ١٤- ٣١، ١٨: ٩- ١٤).

المثال الأكثر شمولًا والذي يعبر عن هذه الحالة مذكور في متى ٢٣. تُبرز القراءة الجيدة لهذا الأصحاح أن اعتراض يسوع لم يكن على آرائهم اللاهوتية إطلاقًا بل كان سوء استخدامهم للسلطة الدينية لتطويق الظلم هو أكثر ما يزعج يسوع. فقد استخدموا قوانين الله وتعاليمه "ليُغْلِقُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ" وأيضا ليحزموا أحمالًا ثقيلة عسرة الحمل ويضعوها على أكتاف الضعفاء وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم (١- ٤، ١٣- ١٦). أساءوا استخدام الثقة الممنوحة لهم بحكم المنصب الديني ليربحوا هيبة لذواتهم ومجد باطل (٥- ٧). أظهروا أنفسهم كمثال للفضيلة يحتذى به، لكنهم من الداخل مملوئين اختطافًا ودعارة (٢٥). أدانوا العنف الذي تمت ممارسته في الماضي في حين كانوا أكثر من مستعدين لإراقة دم البريء بأنفسهم (٢٣- ٣٩). وبشكل أقوى يمكننا القول إنهم تدخّلوا في تفاصيل تشريعية تتعلق بحسابات الله وليس تقديراتهم: كالعدالة والرحمة والإيمان.

"وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالشِّبِثَّ وَالْكَمُّونَ، وَتَرَكْتُمْ أَثْقَلَ النَّامُوسِ، الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالإِيمَانَ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ. [٢٤]أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! الَّذِينَ يُصَفُّونَ عَنِ الْبَعُوضَةِ وَيَبْلَعُونَ الْجَمَلَ." (مت ٢٣: ٢٣- ٢٤).

• أيضًا تشاور الهيرودسيين على يسوع ليهلكوه (مر ٣: ٦، ١٢: ١٣). حينما حذر يسوع بعض الفريسيين المتعاطفين معه من أن هيرودس رئيس الربع يبغي قتله، أرسل يسوع رسالة تحدٍّ لهيرودس ناعتًا إياه بـ «الثعلب» (لو ١٣: ٣١- ٣٣). ولما ساقوه مؤخرًا إلى هيرودس، سأله بكلام كثير لكن يسوع

لم يُجبه بشيء (لو ٢٣: ٦- ١٢).

• كان يسوع منتقدًا أيضًا للسلطة الرومانية. وفي الحقيقة لم يقم يسوع بأي تحدٍ مباشر ضد الحكم الروماني. ولا دعا بشدة إلى استبعاد الرومان ونفيهم من الأرض المقدسة. لكن هذا لم يعنِ على الإطلاق لا مبالاته أو تأييده للحكم الروماني. وهناك أربعة اعتبارات تبين عدم انعزاله أو انفصاله عن هذا الأمر:

١- أولًا كان تصريح يسوع عن ملكوت الله ينطوي على استنكارٍ للمفخرة الرومانية التي مثلت العصر الذهبيّ من «السلام والاستقرار». فروما امتلكت العالم بالقوة، ولم يكن هذا السلام الذي أراده الله. السلام الروماني كان مزيفًا بحيث رفض يسوع مباركته (قارن مع يو ١٤: ٢٧، ١٨: ٣٦).اعترف يسوع حقًا أن مهمته جاءت لتشويش الأوضاع "السلمية" الحالية لأنها تحدّت الظلم والجور وجاءت لتنقضها (قارن مع مت ١٠: ٣٤ - ٣٥، لو ٢٣: ١- ٢).

٢- قدمت تعاليم يسوع الأدبية وأسلوبه الحياتيّ نقدًا مطلقًا للقيم والأولويات الرومانية . فكان يسوع يؤثر مساندة الضعفاء والفقراء بعكس الرومان الذين كافئوا القوي وأشادوا به. دعا يسوع إلى التواضع وخدمة الآخرين بينما افتخر الرومان بسيادتهم وتفرُّدهم. أوصى يسوع أن تشارك وتتقاسم الملكية الفائضة في الوقت الذي فرض فيه الرومان جزية باهظة. رفض يسوع المعاملة بالسيف في حين تخصص الرومان في العنف وتمرنوا عليه.

٣- هناك مواضع عدة حيث ينتقد يسوع السلطات الرومانية بشدة. ففي أحد أقواله، يسلط يسوع الضوء على طبيعة الأحكام الرومانية السيادية والمتسلطة (لو٢٢: ٢٥، قارن مع مر ١٠: ٤٢، مت ٢٠: ٢٥). وفي موقف آخر يتهكم يسوع على التنعم المادى الذي يعيش الأمم فيه وحكامهم ويعلن أن الأصغر في ملكوت الله يكون أعظم

من هؤلاء الملوك والحكام (مت ١١: ٨، لو ٧: ٢٥). أيضًا يحذرهم يسوع مسبقًا من أنهم سيواجهون عنفًا ومعارك ضارية من ولاة وملوك العالم من أجل شهادتهم (مر ١٣: ٩، لو ٢١: ١٢، قارن مع مت ٢٤: ٩). وهناك مقولة في غاية الأهمية ذكرها يسوع عن السلطة الرومانية تدور حول استفساره عن مسمى الجزية.

"ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ قَوْمًا مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالْهِيرُودُسِيِّينَ لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ. فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا لَهُ:"يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَلاَ تُبَالِي بِأَحَدٍ. لأَنَّكَ لاَ تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ، بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ. أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟ نُعْطِي أَمْ لاَ نُعْطِي؟" فَعَلِمَ رِيَاءَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ:"لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي؟ اِيتُونِي بِدِينَارٍ لأَنْظُرَهُ." فَأَتَوْا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ:"لِمَنْ هذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟" فَقَالُوا لَهُ:"لِقَيْصَرَ". فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:"أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ". فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ" (مر ١٢: ١٣- ١٧، مر ٢٢: ١٥- ٢٢، لو٢٠: ٢٠- ٢٦).

في قوله: «أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ»، لم يكن قصد يسوع التفريق بين مسئولياتنا الروحية ومسئولياتنا السياسية، أو إعطاء الأولوية للأولى. ولم يقصد التغاضي عن جزية الامبراطور من حيث المبدأ. (لو قصدت كلماته توكيدًا صريحًا على حق روما في فرض الجزية، فإنه من الظلم أن يشتكي عليه أعداؤه بحجة إفساده للأمة (لو ٢٣: ٢). لكنه عوضًا عن تجنبه للتطرق لقضية الجزية الرومانية، فإنه وجّه نظر سائليه لما هو أعمق وأسمى، بمعنى أن متطلبات الامبراطورية الرومانية يجب أن تتفق ومتطلبات الله. مصدر كل الأشياء هو الله، وإلى حد ما ينبغي أن تتفق أحكام قيصر مع العدالة الإلهية حتى تصبح شرعية.

أيضًا في إطار انتقاد يسوع لإساءة استخدام السلطة في المجتمع المحيط،

علّم يسوع جموعه والتلاميذ أن يطرحوا عنهم رداء السلطة المسيطرة والعظمة. ففي مجتمعهم الدنيوي لا أصل للسلطة المُنزّلة ولا وجود لها كما هو سائد في المجتمع الديني (مت ٢٣: ٨-١٢). وأَنَّ الَّذِينَ يُحْسَبُونَ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَأَنَّ عُظَمَاءَهُمْ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ (مر ١٠: ٤٢- ٤٣). لكن العظمة الحقيقية أن يصير الواحد خادمًا للجميع (مر ٩: ٣٣- ٣٧، مت ١٨: ١- ٦، لو ٩: ٤٦- ٤٨، مر ١٠: ١٣- ١٦، مت ١٩: ١٣- ١٥، لو ١٨: ١٥- ١٧). ويصير الْمُتَقَدِّمُ كَالْخَادِمِ (لو ٢٢: ٢٦).

٤- شجب الحرب والعنف

علم يسوع في داخله أن «النظام» الموجود يبيح العنف من أجل تتميم مقصده. كان له تمام الوعي بمدى الوحشية التي تخللت الحكم الروماني. فتحدث عن قسوة بيلاطس (لو ١٣: ١)، والطريقة التي بها استبد الرومان برعاياهم (لو ٢٢: ٢٤- ٢٧). وعلم أنه نفسه سيواجه أخيرًا عذابًا ثم موتًا على أيدي الرومان (مر ١٠: ٣٣- ٣٤، مت ٢٠: ١٧- ١٩، لو ١٨: ٣١-٣٤)، وأن أتباعه من التلاميذ سيواجهون وابلًا من الاضطهادات (مر ١٣: ٩- ١٠، لو٢١: ١٢- ١٣)، والصلب (مر ٨: ٣٤- ٣٨). تحدث بمرارة عن الزمن الذي يُحدث فيه الرومان رعبًا شديدًا بسبب الحروب الشنعاء التي يشنوها ضد أورشليم (لو ١٩: ٤١- ٤٤، ٢١: ٢٠- ٢٤، ٢٣: ٢٧- ٣١). علم أيضًا يسوع بضراوة العنف الكامن تحت السطح الذي سيواجه المجتمع اليهودي (مت ٢٣: ٢٩- ٣٦، لو ٩: ٧- ٩، ١٩، ١٣- ٣١- ٣٥، مر ١٣: ٩- ١٣). لم يكن يسوع حالمًا أو يتوهم حين حذّر من العنف القادم.

كان يعي تمامًا أن الأنظمة القائمة يمكنها أن تستخدم قوة شرسة لرفض تعاليمه

ومبادئه. كان أمام يسوع ثلاثة اختيارات؛ كان أمامه خيار ثوري ليسلك فيه مثلما يفعل الغيورون ويقاوم حتى بالقوة العسكرية من أجل أن يتحقق ملكوت الله. وكان أمامه خيار الانسحاب مثل الأسينيين (طائفة يهودية متصوفة تشبه الفريسيين، قامت قبل الميلاد بمئة سنة واختفت بعد دمار أورشليم) ويأوي إلى الصحراء بعيدًا عن الفساد المجتمعي، أو خيار التوطيد الذي لجأ إليه كهنة الهيكل حيث تحايلوا على أضعف المواقف ليخرجوا منها الأفضل، وذلك عن طريق التعاون والتفاهم مع السلطات الظالمة.

رفض يسوع الخيارات الثلاثة الموضوعة أمامه. وبدلًا من ذلك اختار الطريق الذي يخلو من العنف، ويتطلب تضحية، طريق غايته صنع السلام ونشر الحب، وطلب من تلاميذه أن يحذوا حذوه (مت ٥: ٣٨- ٤٨). رفض يسوع الحرب والعنف تمامًا وأراد أن تحل عدالة الله على جميع أنحاء المسكونة.

لكن هذا لم يعفِ يسوع من مواجهة قسوة الموت بذاته. شعر أصحاب النفوذ والقوى بالتهديد جراء رسالة يسوع لهم بالمحبة غير المشروطة النابعة من الله، مما جعلهم يتآمروا لقتله.

موت وقيامة المسيح

يصور العهد الجديد موت الرب يسوع من منطلقين، أولهما أن موته مثال رهيب على الظلم البشري، وثانيهما يؤكد أن عدالة الله إنما جاءت لخلاص البشرية. وكلا البعدين تلاقيا في طريق واحد وحيد.

يُسلط الضوء على أبعاد الظلم في كثير من النصوص الكتابية التي تبين غلبة يسوع وتحطيمه لكل قوي الشر، عاملًا على إنهاء الكراهية البشرية بشكل عام وسعي

كان موت يسوع مثالاً على الظلم البشري وتحقيقًا للعدالة الإلهية.

السلطات الحاكمة لتحقيق مصالحها الشخصية بشكل خاص. فعلى سبيل المثال، نجد مرقس يذكر تكرارًا كيف أن مشاعر اليهود الممزوجة بالخوف والاستياء والغيرة نمّت عداءهم ضد يسوع (انظر على سبيل المثال، مر ٣: ٦، ١٢: ١٢-١٣، ١٤: ١-٣، ١٠-١١، ١٥: ١٠، قارن مع ١: ٢٢، ٢: ٧، ٦: ٣، ٧: ١-٥، ٨: ١١-٢١، لو ٢٣: ٤٨، يو ١٩: ١٢). يذكر لوقا فضح يسوع للشيطان الذي دخل في يهوذا (لو ٢٢: ٣، قارن مع ٢٢: ٣١)، ويصف سلطات الهيكل الذين اعتقلوا يسوع في جثسيماني بقوة بـ «سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ» (لو ٢٢: ٥٣، قارن مع ٢٣: ٤٥). كشف يسوع تضليل الشيطان ليهوذا كما جاء ذكره في إنجيل يوحنا (يو ١٣: ٢، ٢٧). وتحت تأثير الشيطان «رئيس العالم» (يو ١٤: ٣٠) تفشّى بغض وكراهية في قلوب الناس ناحية يسوع دون علة (يو ١٥: ١٨، ٢٥)، إذ « أَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ» لأن «أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً» (يو ٣: ١٩، قارن مع ١: ٩- ١١).

وجهّت نصوص عديدة في سفر أعمال الرسل اتهامات لقادة اليهود «بتسليم» يسوع و«مقاومته» و«قتله» و«الحكم عليه» و«صلبه» بالرغم من براءته التامة (أع ٢: ٢٣، ٣٦، ٣: ١٣- ١٥، ٤: ١٠، ٢٦- ٢٨، ٧: ٥١- ٥٢، ١٣: ٢٧- ٢٩، قارن مع لو ٢٣: ١٤، ٢٠، ٢٢، ٢٣: ٤٧). كما لم يغفل بولس عن ذكر تورط اليهود (١تس ٢: ١٤- ١٥) و«عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ» (١كو ٢: ٨، قارن مع كو ٢: ١٤) في مقتل يسوع. أيضًا يتحدث كاتب سفر العبرانيين بشكل عام عن يسوع وكيف «احْتَمَلَ مِنَ الْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ» (عب ١٢: ٢، ٣)، وتشير رسالة بطرس الرسول الأولى إلى كونه «مَرْفُوضًا مِنَ النَّاسِ» (١بط ٢: ٤- ٧).

غير أن موت المسيح لم يتم تقديمه كمجرد عمل يتصف بالظلم والوحشية لكنه أعمق من ذلك. يوصف أيضًا بأنه انتصار لعدالة الله التي هي للخلاص، بل وغلبة واحدة للجميع على سلطان الخطية والموت (انظر على سبيل المثال، رو ١: ١٦– ١٧، ٣: ٢١– ٢٦، ٥: ٦– ١١، ٨: ١– ٤، غل ٣: ١٣، ١كو ١٥: ٣– ٤، ٢كو ٥: ١٩– ٢١، في ٢: ٦– ١١). دخل الله – متمثلا في شخص يسوع المسيح – دائرة الرفض الإنساني ليكسر سلطان الشر الذي يضع الجنس البشري في دائرة مغلقة من العنف والمطاردة. وعلى الصليب حمل يسوع خطايا كل العالم مختبرًا في ذلك مرارة الخطية. «الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ» (١بط ٢: ٢٤). وبذلك أصبح يسوع أعظم ضحية لعنف الشر والشرير. ومع ذلك فإن يسوع – وهو الضحية – لم يستجب لسلطان الظلمة عن طريق انتقامه من المسيئين إليه. فهو لم يقابل العنف بمثيله، بل رفض مبدأ بطرس في الدفاع عن نفسه بالسيف (مت ٢٦: ٥٢). لم يقابل الكراهية بالمثل. «الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ» (١بط ٢: ٢٣، انظر أيضًا عب ١٢: ٢). لم ينتقم لكونه الضحية أو كبش الفداء. لكن فضَّل الصلاة من أجل قاتلي نفسه: «يَاأَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لو ٢٣: ٣٤). وبهذا المنطق أبطل يسوع أنياب الشر، وأنهى نفوذه. مات يسوع ميتة قاسية. لكن الله أقامه من الأموات معلنًا أن قوة الله أعظم وأقوى حتى من قوة الموت الذي يجلبه العنف. قيامة المسيح هي أعظم الدلائل الملموسة التي حاربها الشرير، وبداية جديدة لحياة ووجود إنساني سامٍ ومختلف.

ملخص

إعلان يسوع عن ملكوت الله تلامس مباشرة مع الأبعاد الأساسية للحياة الاجتماعية والسياسية: طريقة توجيه الثروة والسلطة، ومنع وحرمان الضعفاء من المشاركة الكاملة في المجتمع، واللجوء إلى العنف الضاري لحماية أنظمة الجور. كان يسوع دائمًا رافضًا للظلم الذي يسود الأوضاع الاجتماعية ودعا إلى التوبة الجماعية. وضع لكل من تبعوه قاعدة أخلاقية جديدة يسلكوها. في المجتمع الذي حول يسوع يتمتع الضعفاء بكرامة كالباقين، والثروة توزع في إطار عادل وبالتساوي، والعظمة والقيادة يعني أن تكون خادمًا للجميع، والنظام السائد هو صنع السلام ونبذ العنف. الاهتمام الأول والأعظم هو الحياة طلبًا لملكوت الله وبره (مت ٦: ٣٣).

استطاع المسيح بموته وقيامته أن «يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النُّصْرَةِ» (مت ١٢: ٢٠). كسر «سلطان الظلمة» الذي هو مصدر كل عدم عدالة في العالم، فالذين كانوا قبلًا «عبيدًا للخطية» أصبحوا الآن «عبيدًا للبر» وهذه هي أدوات الله للخلاص والتجديد والعدالة صانعة السلام في العالم (رو ٦: ١٥– ٢٠).

"لأَنْ لَيسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلًا وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ. لأَنَّ مَنْ خَدَمَ الْمَسِيحَ فِي هذِهِ فَهُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ اللهِ، وَمُزَكًّى عِنْدَ النَّاسِ. فَلْنَعْكُفْ إِذًا عَلَى مَا هُوَ لِلسَّلاَمِ، وَمَا هُوَ لِلْبُنْيَانِ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ." (رو ١٤: ١٧– ١٩).

تتناول هذه الآية ما اكتشفناه وتناولناه عن العدالة الكتابية والبر من خلال هذا الكتاب الارشادي المختصر. العدالة هي جوهر ملكوت الله، والطريقة التي من خلالها ينشر الله أحكامه بمحبة متناهية في أرجاء العالم. وهذا هو الالتزام الأول الذي يقع على أبناء الله كشهود ينشرون بر الله وعدله في كل المسكونة. وبهذا نخدم المسيح على الأرض الذي من خلاله تتجلي أسمى معاني العدالة بطريقة عملية. وبهذا نتمم

رسالتنا ونلقى قبولًا حقيقيًّا من الله.

من أجل الوصول للعدالة التي ترضاها ملكوت الله يجب النضال في المحور الذي يتجه نحو السلام. تحقيق العدالة هو العامل الذي يُكثِّر الروابط المشتركة في المجتمع ويُفرح الروح القدس. إذًا العدالة الكتابية - في النهاية - هي عدالة تجلب السعادة وليست عدالة شرسة أو ممقوتة. تجلب السعادة لأنها هدفها الإصلاح والتجديد، تداوي الجروح، وتعيد تصحيح الأشياء.

ملحق الكتاب

ملخص للنقاط الرئيسية

• يصعب إيجاد تعريف لمفهوم العدالة على نحو كافٍ، وتتنوع الآراء عن الطريقة التي يُترجَم بها هذا المفهوم من مجرد مبادىء نظرية إلى أفعال في الواقع.

• بلوغ العدالة يتطلب تطبيقًا كاملًا للسلطة الشرعية، وذلك من أجل التأكيد على التوزيع العادل لكلٍّ من المنافع والجزاءات، ولضمان حقوق جميع الأطراف وواجباتهم.

• تعتبر القصص الكتابية عن خليقة الله ورعايته وخلاصه للعالم هي أفضل ما يعلم المسيحيين عن معنى العدالة. فالعدالة قاعدة أساسية في الكتاب المقدس.

• التعاليم الكتابية عن العدالة يجب أن تُفهم من خلال الاطلاع على الخلفية الدينية والثقافية لكُتَّاب الوحي. إذ أن العهد والشريعة والعدال ... كلها مفاهيم مترابطة ومكملة لبعضها البعض.

• الله هو المصدر الرئيسي للعدالة ومنبعها. تكمن العدالة في كونية الله وترسم تعاملات الله مع العالم. يعتبر الله أن تحقيق متطلبات العدالة مسئولية البشرية.

• المعرفة الحقيقية بالله تستلزم إدراكًا واستيعابًا كاملًا لمدى تكريس الله للعدالة والسعي إلى محاكاة عدالة الله من خلال الطريقة التي يعيش بها الإنسان في العالم.

• وَعَدَ الله بتوجيه التاريخ لطريق الخلاص الأمثل من فساد الشرير هو أساس الرجاء الكتابي. والمؤمنون مدعوون لتأييد الله في خطته للخلاص والتجديد.

• كل محاولة إنسانية لخلق عدالة بعيدًا عن المقاييس الإلهية للعدالة، تعتبر في أفضل الأحوال متحيزة وجزئية. فلا يوجد نظام اقتصادي أو سياسي فوق النقد أو وصل إلى قمة التطوير.

• لا تخضع العدالة للصدفة البحتة. لكنها دائمًا ما تتطلب نضالًا، وتعهدًا وتكريسًا تامـًا. الالتزام الإلهي ناحية العدالة يجعل هناك أملًا للتغيير.

• بدون ترجّي العدالة في حياتنا، ستفقد العبادة كل معانيها الحية. فمن الضروري لتحقيق القداسة في حياتنا أن تكون العدالة أسلوب حياتنا.

• يرتكز نداء العدالة الإلهية على أفعال إيجابية تكبح جماح الظالم وتنصف المظلوم وتحرره من الظلم الواقع عليه.

• الأشخاص الذين هم في موضع سلطة في المجتمع هم أكثر المسئولين عن السعي وراء تحقيق العدالة، كل أفراد المجتمع أيضًا مطالبون بتحقيق هذا المطلب.

• العدالة الكتابية تهتم بخلق ورعاية علاقات سويّة وراسخة ومعطاءة بين الأطراف. لذلك فإن اللُّطف والرحمة متطلبات ضرورية من أجل تحقيق العدالة.

• العدالة الكتابية تستدعي إظهار تحيز واضح لرخاء الأطراف الأكثر عرضة للاستغلال في المجتمع. يعضد الله الفقراء والضعفاء لضمان أكبر قدر من المساواة المجتمعية.

• عندما يقع الخطأ، يكون الاهتمام الأساسي للعدالة الكتابية هو إعادة تجديد وإصلاح ما تم إتلافه. وغالبًا ما يعمل العقاب كآلية لحماية وإستعادة السلام.

• عرّف يسوع مهمته التاريخية على أنها القضاء بالعدل للفقراء والبائسين. وقدمت رسالته تهديدًا للسلطات القائمة مما يبرز أسباب معارضتهم وتصديهم له.

• انتقد يسوع بشدة إساءة استخدام السلطة السياسية والدينية، وتهميش المعوزين والبائسين، والتسليم للعنف المدمر.

• موت يسوع المسيح هو أحد الأمثلة الشنيعة على الظلم البشري. لكنه أيضًا برهانًا حاسمًا على عدالة الله المانحة للخلاص والغفران. قيامة يسوع تعلن غلبة عدالة الله على قوى الشر.

• يجب أن يكون الاهتمام الأول للمجتمع المسيحي الجديد أن يضع عدالة ملكوت الله الآتية نصب أعينه. يجب على الكنيسة أن تجسد في حياتها الخاصة سمات العدالة المتعارف عليها في حياة يسوع وتعاملاته.

الله العادل، لماذا يترك العالم يعاني من الظلم؟

ألا يتعارض ما يحدث من حروب وحوادث وكوارث مع عدل الله؟

هل الله يمكن أن يتحيز لجنس أو عرق أو شعب دون آخر؟

هل تعريف العدل في الكتاب المقدس، يختلف عنه في كتب القانون؟

وغيرها من الأسئلة قد تتبادر لأذهاننا، ونحتاج لإجابات لها، ولا يمكن أن نتحدث عن عدل الله دون أن نعرف ما هو تعريف العدل في الكتاب المقدس، وكيف تحدث الكتاب المقدس عن عدل الله ؟

هذا الكتاب المختصر الذي بين يديك، يقدم لك ردودًا من الكتاب المقدس عن أسئلة كثيرة قد تدور بأذهاننا متعلقة بموضع العدل بشكل عام، وعدل الله بشكل خاص.



١٠١٠٨٨٧٢

دار الثقافة